الرسائل الجامعة

كيف يحتفظ المسلمون

بالذاتية الاسلامية في مواجهة أخطار الأمم

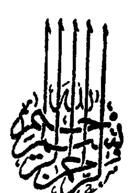
أنور الجندي

دار الاعتصام



كيف يحتفظ المسلمون

بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم





مدخـــــــــل

إن المعركة الحقيقيـــة اليوم هى معـــركة « تأكيد الذات » أو المحافظة على الذات أو حماية الذات : « الذات الاسلامية » التى كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرنا والمحافظة عليها وحمايتها من الانهيار ، من التدهور ، من الجمود ، من المداخلة ، من الانصهار فى بوتقة الفكر البشرى العالمى تحت اسم العصرانية أو الحداثة أو العالمية لقد بدا مع مطلع القرن الخامس عشر ان المحافظـــة على «الذات الاسلامية » فريضة من فرائض العقيدة والأمـــة فى نفس الوقت : ذلك انه قد تبين أن الهـــدف الحقيقى وراء المؤامرة التى تقودها القوى العالمية هى تذويب المسلمين فى الكيان الأممى والعالمى عن طـــريق ثلاث عبارات خـــدعت الكثيرين وأصبحت تجرى على ألسنتهم فى سهولة ويسر دون تبين ابعادها وخلفياتها والمرامى التى ترمى اليها تلك هى : الانفتاح الثقافى ، التلقيح الثقافى ، اثراء الفكر ، وكل كلمة من هذه الكلمات فى حاجة الى توضيح لأخطارها وأعماقها التى تغيب عن الغافلين المخدوعين .

ان الانفتاح الثقافى له « ضوابط » وهى أن يكون المتقبل من الفكر البشرى مما لا يتعارض مع أصول الاسلام أو مما هو مضاد لها وانما يكون عامـــلا من أساليب العصر التى ينتفع بهـــا فى تبليغ الحقائق وتوصيلها الى أكبر مجموع من الناس .

والا فكيف يأخذ الربانى المصدر من البشرى وكيف يأخذ الجامع المتكامل روحا ومادة من القاصر الناقص الانشطارى الواقف على حدود المادة وحدها وكيف يأخذ الانسانى الناصع الصادع بالحق من الحامل لأهواء البشرية وأوهامها .

وكيف يقبل المسلم أن يلقح الفكر الربانى الجامـــع من الفكر البشرى الحافل بالأساطير والأوهام والخرافات والفرضيات التى لم تثبت . ان ما يأخذه الفكر الاسلامى من الفكر الوافد هو بمثابة « مواد خام » له الحق فى تشكيلها وصياغتها على الوجــه الذى يريده على أن تكون خاضعة للقيم الأساسية للفكر الاسلامى القائم على التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الانسانى والذى يقم منهجه على أساس الالتزام الأخلاقى والجزاء الأخروى .

أما اثراء الفكر فانشيئا واحدا هومطلبنا ..هو العلموالتكنولوجيا لنأخذها ونصهرها فى اطار فكرنا الاسلامى لتعمل بمفهوم الاسلام الذى لا يستعلى بالعنصر والجنس أو الطبقة ، والذى يجعل عطاء الحياة للناس جميعـــــا ، أما أسلوب العيش الغربى الاجتماعى والحضارى على النحو الذى يعيشه الغرب الآن فان ما لدينا من منهج يكفينا ويحقق غايتنا فنحن نفهم التقدم : تقدما معنويا وماديا فى آن واحد ، ونحن لا نضحى بالأصول والثوابت والقيم وحــدود الله فى سبيل أى كسب مادى ، ولا نجعل مفهوم الاسلام الصحيح مبررا للحضارات حين تنحرف ولا المجتمعات حين تفسد ، وانما نطالب الحضارات والمجتمعات أن تعود الى طريق الله .

لقد مر المسلمون بمرحلتين من مراحل الصراع مع القــــوى الغربية الحريصة على التهام العالم الاسلامى : مرحلة الاحتــلال العسكرى والسياسى ومرحلة الغزو الفكرى : الليبرالى المــاركسى الصهيونى . وقد استطاع « عالم الاســـــلام » أن يقف من هاتين المرحلتين موقف الصمود ، غير أن المرحلة الثالثة الجديدة المبسوطة

الآن من وراء كل مؤمرات الفكر والثقافة والتعليم هى اخطر المراحل ويجب ان نجتازها بدفعة ايمان قوى : تلك هى مرحلة ما يسمونه التبادل الثقافى والمنح الدراسية وما هنالك من تبادل ، فنحن الذين نستورد المناهج ، وأبناؤنا هم الذين يسافرون ليعودوا غرباء عنا . فلنحذر استيراد المناهج ولنحذر أن نرسل من ابنائنا من ليسوا على قدر كاف من معرفة الأخطار التى تواجههم بالاحتواء والتغريب .

ان هذه المرحلة اشد واخطر من المراحل السابقة جميعا ، فهى تستهدف ازالة « الهوية الاسلامية العربية » أزالة كاملة ، وصهر هذه الأجيال الجديدة فى بوتقة الفكر الأممى تحت اسم الحضـــارة العالمية والثقافة العالمية دون أن يتبين هذا الشباب الغض الـــذى تنقصه خلفية اسلامية واعية ، ومعرفة حقيقية لرسالة الاســـلام ، ودراية واسعة للخطر التى يحيط به ، والتحدى الخطير الذى واجه الأمة الاسلامية كلها باعتبارها المالكة اليوم للثروة والطاقة والتفوق البشرى ، والمعدة بتقدير الله تبارك وتعالى الى وراثة الحضـــارات المنهارة والأنظمة المتصدعة والتى تتطلع البشرية اليها لتجد فيها الترياق لما يواجه العالم من أزمات واغتراب وتمزق نفسى .

الهدف هو القضاء على مصدر الضوء الجديد الذى يقدمـــه الانسان وتعجيز هـــذه النفس المؤمنـــة بالله بأنهـــا على الحق ، واذلالها وتعويق مسيرتها الى مصير محتوم ، هو تقديم رســـالة الرحمة والعدل والتوحيد الى العالمين وهو مطمح تتطلع اليه النفوس فى كل مكان اليوم وقد اقترب موعده ولاحت بشائره .

* * *

(٢)
الإنسان (مفهـوم الإسـلام له)

ان اكبر اخطاء النظرية الغربية الوافدة هى فى « الانسان » وخطأها فى القول بأن الانسان حيوان طعام او حيوان جنس . وأن الانسان هو الذى يصنع نفسه ويشكلها عن طريق القرارات التى يتخذها لنفسه بنفسه وانه هو الذى يقنن ويشرع لنفسه ، وفق هواه ومطامعه ، وأن ارادة الانسان حرة حرية مطلقة وأن السنن ثابتة لا تتغير .

وليس هـذا مفهوم صحيح ، ولكن المفهوم الأصـيل الذى قدمه لنـا الدين الحق هو أن الانسـان مستخلف فى الأرض وليس مالكا مطلق التصرف ، وأن عليه التزاما اخلاقيا ومسئولية وعليـه جزاء اخروى ، وأن الحيـاة ليست كلها منفعة او مادة ، وأن هنـاك معنويات لهـا اثرها العميق فى تحريك التاريخ وفى تغيير الواقع وان ارادة الانسان حرة ولكنها ارادة غير مطلقة لأنها تتحرك داخل ارادة الله وأن للكون قوانين ثابتة وسننا طبيعية ولكنهـا خاضعة للمعجزة الالهية وأن الله تبارك وتعالى قادر على تغيير هذه السنن او ايقافها متى شاء ، وأن العقلانية ليست قاعـدة وحيدة ، ولكنها مركب من العقلانية والروحية ، ومن المادة والروح، وأن هناك حرية الاختيار ولكنها غير مطلقة لأنها مقيدة بالضوابط الأخـلاقية والمسئولية الفردية وبالحدود التى حددها الله تبـارك وتعالى . نعم هناك ضوابط وحدود هى العقل والفطرة والشريعة ،

ولا شك أن الاقتصاد عامل مؤثر فى مجـــــرى التاريخ ولكنه ليس العامل الأكبر أو النهائى أو الوحيد .

هناك حدود تحد من اطلاق الحرية دون أن تنتقص من صميمها هى قيود العقــــل والأخلاق والقيم والفطرة وضـــوابط الاديان وحدودها .

والاسلام يبسط طريقا وسطا أمام معتنقيه لا تتجرد فيه الروح من البدن ولا البدن من الروح ، بل ترتبط الجـــوانب الروحية بالجوانب المادية وتتوازن وكل محاولة الى الفصل بينهما انما ترمى الى تدمير الانسان ، والاسلام لا يعارض التقدم بل يدفع اليه دفعا بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، والسعى لعمارة الأرض ؛ وهو تقدم معنوى ومادى معا ، والتقدم المادى لا بد أن يرتبط بالقيم الأساسية ويدور فى فلك التقوى والعدل والأخاء . فتقدمية الاسلام ليست فى موافقه للنظريات الاجتماعية والاشتراكية أو معارضتها بل لأنه يدفع الانسان دوما الى الامام ولا يوجد فى تعاليم الاسلام كلمة واحدة أو عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلمين أو يمنع زيادة حظهم من الثروة أو المعرفة أو القوة وقـــد جعل الاســـلام سيادة الانسان ، ليست فى سيادة هيكله المادى ونموه الحيوانى بل فى سيادة الانسانية من العدل والحرية والاخاء والمساواة .

وللاسلام ذاتيته الخاصة ، ومقاييسه الخاصة فهـــو ليس صالحا لأنه موافق للديمقراطية أو ألاشتراكية أو الراسمالية فقد جاء الاسلام حاكما على الناس وعلى المدنيات ولم يجىء محكوما بهم وليس الاسلام مطية ذلولا للحضارة الحديثة ، وليس الاسلام خادما للدعوات والحضارات بل هو حاكم له مقـــوماته المستقلة التى لا تخضع وليس فى القدر الاسلامى ما يميت شجاعـــة المسلم أو يؤدى الى فتور همته وقد حرر الاسلام أتباعه من التأثير الأجنبى بكل أنواعه .

وقد علم الاسلام المسلم ان يحدد علاقته مع الماضى (التاريخ) ومع ما وراء الطبيعة (الغيب) ومع الآخرين (الزمن والبيئة) فاذا انقطعت الصلة مع واحدة من هذه جاء الخوف والقلق والتمزق وإن لانهيار الأمم أسبابا كثيرة من اشدها قطع الصلة بالماضى . وعلى المسلم أن يمتد من الحاضر الى المستقبل فى ضوء الماضى وأن يمتد فى روابطه مع الأسرة والجماعة والأمة والعالم كله .

وان حقيقة (النجاح) هو العودة الى الله والتماس شرعته وأن هذا النجاح هو التقدم الحقيقى ، وأن أى تقدم لا يسلم الى مرضاة الله وتحقيق قيام المجتمع الربانى فى الأرض ليس تقدما حقيقيا .

وليست كل مباهج الدنيا كالثروة والسلطان والمتعة الا موضع حساب وفرحها فرح مؤقت ، اما الفرح الحقيقى الذى يبقى فهو فى العطاء وانكار الذات والغيرية ومرضاة الله بمعارضة اهواء النفس .

أن النظريات المادية والأباحية المطروحة الآن فى أفق الفكر الاسلامى انما ترمى الى تحرير الانسان من المسئولية الأخلاقية والالتزام الاجتماعى لتدفع الناس ألى الفساد تحت اسم جبرية المجتمع وعدم مسئولية الناس الفردية .

كذلك فان احياء دعوات الحلول والاتحاد والفلسفات الباطنية انما ترمى الى اسقاط التكليف . كما تحاول البهائية وألقاديانية الى اسقاط فريضة الجهاد الماضية الى يوم القيامة ، كما تحاول الاسرائيليات افساد نصاعة مفهوم التوحيد ، كما تحاول الفلسفة خلق مفهوم التأويل بما يبرر الواقع ، أو تحريف النصوص الأساسية .

* * *

(٣)
التحـــرر من التبعيـــة

يجيء مطلع القرن الخامس عشر الهجرى حافزا لألف مليون مسلم للوقوف لحظة لمراجعة حساباتهم . والنظر الى الطريق الذى يسيرون فيه من خلال نظرتين :

نظرة الى الماضى لتقدير ما قطعوه فى ســـبيل الغاية التى يتطلعون اليها ونظرة الى المستقبل لمعرفة ما هم بسبيل الى الوصول اليه . ولقد كان عليهم قبل ذلك أن يكونوا قد أقاموا مفهوما واضحا شاملا لمهمتهم يتمثل فى « وحـــدة فكر » أساسية تركز على القيم الأساسية التى لا اختلاف فيها مؤمنين بأن عليهم أن يتعاونوا فيما يتفقون عليه ويعذر بعضهم البعض فيما يختلفون فيه . مادام الخلاف فى الفروع التى لا تؤثر فى الغـــاية الأساسية ولا فى المقصـــد الأسمى .

ويجب أن تكون الغاية الأساسية والمقصـــد الأسمى أمامهم واضحا جليا متفقا عليه لدى المسلمين جميعا : وهو تحقيق ارادة وجودهم ، واقامة كيانهم ومجتمعهم ، على الأسس التى رســـمها لهم دينهم الحق بوصـــفه « منهج حيـــاة ونظام مجتمع » وأن عليهم اليوم بعد أن تحرروا من قيود النفوذ السياسى والعسكرى الوافد أن يكونوا قادرين على التخلص من النفوذ الاجتماعى والاقتصادى

والثقافى وان يحرروا ارادتهم بتطبيق شريعتهم الاسلامية واقامة مجتمعهم الربانى ليكونوا مؤهلين بعد ذلك لتبليغ رسالة الاسلام الى العالمين وحتى تعلم البشرية أنه لا سبيل أمام علاج أزماتها التى تعيشها اليوم الا أن تلتمس طريق الله وحده .

ولا شىء يمكن أن يحقق أمن المسلم وسعادته وحقوقه الا تطبيق شريعة الله تبارك وتعالى . فان لم يفعل المسلمون ذلك فانهم آثمون مسئولون بين يدى الله تبارك وتعالى على تقصيرهم فى تنفيذ ذلك .. أن القانون الوضعى هو تشريع البشر للبشر . انه التشريع الذى يقوم على أهواء النفس ، وعلى الظنون التى تتجاوزها الأحداث يوما بعد يوم ، وهو الملىء بالثغرات ، العاجز عن العطاء ، الذى يستهدف اباحة المنكرات وحماية الانسان من المحاسبة عن افساده للمجتمع فى مجالات الأهواء والزنا والاغتصاب . ما دام ذلك يرضى الطرف الآخر ، أو ما دام ذلك ليس فى منزل الزوجية ، وبذلك تتفشى فى المجتمعات الأدواء الصاعقة من الجذام والسيلان فضلا عن ضياع الأعراض والغيرة والشرف والكرامة والعفة ، وانحطام الأسرة وتدافع المراة نحو الشهوات دون خوف من عقوبة أو جزاء .

كذلك فان شريعة الله وحدها هى القادرة على تحقيق العدل الاجتماعى والتكامل الاجتماعى وقيام الأمن الدولى فى الاسلام فالمسلمون من غير تطبيق الشريعة الاسلامية مضطربون فى مجال الاقتصاد ومجال الاجتماع ومجال القانون .

أن هناك فوارق بعيدة وعميقة بين شريعة الله وبين القانون الوضعى فالنظم السماوية ترتبط بالعقيدة وبالايمان فيكون لها فى نفوس الأفراد قدسية وحرمة وجلال تتقبلها النفوس ابتغاء مرضاة الله وايمانا بانها أصلح النظم ، وهى نفس لأنها من صنع الله

القدير تكون دائما موائمة لطبيعة المجتمـــع قادرة على استيعاب تطوراته ومتغيراته مرنة لتلقى ظروفه وأوضاعه .

أما القانون الوضعى فانه يقوم على الخـــوف من العقوبة ، يسهل على الفرد الخروج عنه اذا وجد الوسيلة الى ذلك كيلا يقع تحت وطأة العقاب .. ومتى كانت النظم غير مستمدة من دين ما .. ومعروف انها من وضع البشر .. ولا يكون لها فى نفوس الأفراد حرمة ولا قدسية ولا جلال .

والمعروف أن واضعى القوانين يخضعون لأمرين : لأهوائهم كبشر وهى أهواء ضالة ولظروف مجتمعاتهم المتغـــيرة فسرعان ما تتهاوى القوانين لانها لا تستطيع الموائمة مع المجتمعات غـــير القادرة على تحقيق الخير لها .

أما الشريعة الربانية فان ميزتها انها تعلو فوق أهواء البشر لأنها من صنع الله القوى القادر فضــــلا عن استيعابها لمتغيرات المجتمع لأنها خالدة الى يوم تقوم الساعة ففيها ما يوائم البشرية ويصلح احوالها وعلى المجتمعات ان تصوغ وجودها لتتفق معشريعة الله لا ان تحاول تبرير أوضاعها عن طريق ألتأويل أو عن طريق الرخص .

* * *

(٤)
المنهـــج الربـــانى

كان هدف النفوذ الأجنبى استلاب حضارة الأمة التى يسيطر عليها ، ولقد كانت للحضارة الاسلامية ذاتية متميزة عرف خصوم الاسلام انها قادرة على الوقوف فى وجههم ، ولقد كان ســـبيل الاستلاب الحضارى هو الاستلاب الفكرى وأسلوب الاستلاب هو تقديم المثال من فكر الغاصب وسلاح الاستلاب هـــو هدم الأسس والقيم لحضارة الأمة المستلبة والقضاء على مقومات ومظاهـــر حضارتها فى نفسها وقومها وفى الواقع المعاش . والهدف هـــو تجريد الأمة من كيانها الحضارى والروحى لتسهل السيطرة عليها اقتصاديا واجتماعيا وفكريا ويبدأ ذلك بأن تحتقر النخبة لغتهـــا الوطنية وقيمها المعنوية والروحية والدينية والاخلاقية وتتطلع الى النموذج الوافد كمثل أعلى . ،وعندما تتخلى الأمة عن فنونها وآدابها لتقتبس أساليب اخرى تذهب بذاتيتها وميزتها الخاصة فتنصهر فى فنون الغرب وقيمه عندئذ تذهب هويتها التى صنعها الاسلام من أجل حمل أمانة الرسالة العالمية ، وذلك هو الخطر الذى يواجه المجتمع الاسلامى اليوم وهو يتقدم باعجاب أمام نقل أسلوب العيش الغربى بكل فساده وسوآته واضطرابه تحت تأثير التقليد الذى يقوم به المغلوب للغالب ، فيذهل عن خصائصه التى يجب أن يثبتها ويدعمها ويحصنها وذلك باصراره على الانتماء الاسلامى الأصيل الى القرآن

منهجا والرسول قائدا واللغة العربية الفصحى منطقا والى تاريخه وزعاماته وبطولاته التى هزت الدنيا كلها واقامت هـــذا الصرح الشامخ من الحضارة ذات المنهج الربانى المصدر الانسانى التطبيق

ان هناك قوى كبيرة تحول اليوم دون وصول الأمة الاسلامية الى غاياتها ، هذه القوى تعمل على تغيير النمو الطبيعى للاشـــياء وتفرض اعرافا جديدة تمكنها من السيطرة وتحول دون وصـــول الأمة الاسلامية الى الاصالة . ومن ثم نجد أن أهل الحق غـــير قادرين على الانطلاق نحـــو الوجهـــة الصحيحة حيث تفرض عليهم بدائل متعددة، كالقومية والديمقراطية والاشتراكية، هذه القوة التى تحول دون اتجاه الأمة الاسلامية الى غايتها ، وتفرض عليها حصارا كاملا ، يحول بينها وبين القدرة على الحركة الحرة ، على طـــريق الاصالة . وبتوجيه هذه القوى القادرة على التوجيه تقوم دعوات سياسية واجتماعية لها كتابها ودعاتها ، وتجـــد هـــذه الدعوات طريقها الى مناهج الجامعات والمدارس والثقافة، وتجند لها الصحافة والأقلام والمسرح والحوار .

ثم يقال بعد ذلك : هذا هو الواقع ، وهذه هى ارادة الأمـــة الحرة ، أن المجتمع الاسلامى ما زال غير قادر على امتلاك ارادته فى السير نحو الطريق الأصيل الذى سار فيه منذ أربعة عشر قرنا : طريق تراثه وقيمه وشريعته ، ولا تزال تلك القوى تحول دون ذلك وتصنع السدود والقيود حتى لا يصل الى هذا الطريق ، وما تزال وسائل الدعوة الى كلمة الحق والخير محاصرة ، خافتة الصوت لم تجد العون الذى يدفعها الى الانطلاق .

لقـــد رفض المجتمع الاسلامى فكرة القومية والاقليمية والطبقية والصراع الطبقى والديمقراطية والاشتراكية لان له مفاهيمه الأصيلة فى العلاقة بين العرب والاسلام وبين الدين والدولة ، وبين الرجل والمرأة وبين الأسرة والمجتمع ، وقد أفلست ايديولوجيات الراسمالية

والليبرالية والديمقراطية التى فرضت نفسها على بلادنا بواسـطة النفوذ الأجنبى ــ لا باختيارنا ــ لأنها أنظمة مجتمع آخر له مفاهيمه وقيمه ومثله الأعلى فى الحياة وله عقائده التى تختلف عن التوحيد والعدل والرحمة والاخاء البشرى التى قدمها الاسلام للانسانية .

كذلك أفلست ايدلوجيات الماركسيين والشيوعيين والاشتراكيين ومذاهب الفرويدية والوجودية والبرجماتية ، وكان معنى افـلاس هذه الأنظمة الاجتماعية والاقتصـادية ان المسلمين ليس أمامهم الا منهجهم الأصيل ، وأن الفطرة الاسلامية لا تعق نفسها ، فقـد رفضت الغريب ، وعجز الوافد عن العطاء النفسى والروحى ولم يبق امام المسلمين الا منهجهم الربانى الأصيل .

وليعلم قومنا أن الاسلام لا يواجه الواقع أيا كان ليبرره أو يقره أو ليلتمس له تعليلا يبقى عليه وانما يواجه الواقع ليزنه بميزان الحق فيقر منه ما يتفق مع كلمة الله ويلغى ما غير ذلك وينشىء واقعا جديدا على طريق الله .

* * *

(٥)
المؤامـــرة على الإســـــلام

ان ميزة القيم الأساسية الاسلامية انها ثابتة الجذور متطورة الفروع قادرة على مواجهة متغيرات الحياة تعطى الثبات للاساس وتعطى القدرة على الحركة مع الزمن . ولقد رسم الفكر الاسلامى الاطار المرن الواسع وأقام حرية الحركة من داخـــله . والايمان بالتغيير والحركة والتطور واضح فى الفكر الاسلامى منذ قـــديم شريطة الا يخرج عن نطاق الضوابط والحدود والمقومات الأساسية التى أقامها القرآن كالتوحيد والعدل والرحمة والأخاء الانسانى . ان كل مصلح فى تاريخ الاسلام انما كان يضع الحلول والمناهج فى ضوء واقع امته ومركزها وتحديات العصر الذى يعيش فيه، فالغزالى وابن تيمية وابن حزم وابن خلدون كان كل منهم يصدر من جانب التحدى الذى يواجه العصر ولكنهم جميعا كانوا يهدفون الى غرض واحـــد هو المحافظة على الذاتية الاسلاميـــة من أن تنصهر فى التيارات الوافدة التى عرفها الفكر الاسلامى بعد دخول الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية وغيرها ، كان الهدف الأساسى هو تحرير الفكر الاسلامى من الاحتواء أو السيطرة عليه ، ولذلك فان دراسات حركات المعتزلة والفقه والكلام والفلســفة والتصــوف منفصلة عن هذا الاطار لا يمكن ان تقدم نتائج حقيقية ، وليس من الخير اعادة تقديم هذه المعارك والمساجلات مرة أخرى اذ انهـــا جميعها قد انتهت الى قرار واضح هو صياغة المفهوم الاســـلامى

الجامع الذى أطلق عليه مفهوم أهل السنة والجماعة وانما علينا الآن أن نلتمس عصارة الايجابيات فى هذه القضايا التى اثيرت بما يكشف عن عظمة الفكر الاسلامى وقدرته على العطاء الحق فان هناك ثروة ضخمة يمكن الانتفاع بها من دراسات التربية والأخلاق وبناء الانسان فى كتابات التصوف ، وأن هناك دراسات العلوم التجريبية والنفسية والاجتماعية التى قدمها علماء الاجتماع والنفس ، شريطة أن تحرر هذه المعطيات من القيود المرتبطة بها ومن غواشى الخلافات والجدل . فالمسلمون الآن لا يعودون مرة أخرى الى أحاديث تحاول ان تعلى العقل أو المنطق الفلسفى أو اسلوب الذوق والوجدان ، فقد مرت هذه المرحلة منذ وقت طويل وقد برز مفهوم الأسلوب القرآنى الجامع ، المتكامل ، بعد أن تكشف أن أسلوب الاعتزال والفلسفة لا يستطيع ان يحقق عرض المنهج الاسلامى الربانى الأصيل وأن كانت تلك المرحلة قد حققت بعض النتائج حينما حررت الفكر الاسلامى من مفهوم الجبرية الصوفية أو أسلوب الجمود الذى كان يغشى آفاق العالم الاسلامى من قبل ، ولا يزال المنهج السلفى الاسلامى الأصيل هو المنطلق الحقيقى للعمل .

ان غياب الروح ألاسلامى ، أو التوحيد الخالص عن حياة المسلمين هو السر فى وقوع المسلمين تحت سيطرة الروح الغربى أو الشرقى على السواء ، وقد عرضت على المسلمين فى مجال السياسة والاقتصاد والآداب والفنون حلول : ابسط ما يقال عنها أنها تشتت انتباه المسلمين عن مشكلتهم الأم ، وهى مشكلة حضارتهم — حتى يربطوا اهتمامهم بمشكلات وهمية أو حلول مهلهلة ، ومن هنا وضع أمام المسلمين السؤال المطروح على عقل المثقفين فى العالم الاسلامى : هل يستطيع الاسلام ان يستبدل بعقله وروحه عقلا جديدا وروحا جديدة حتى يرضى عنه الغرب أو الشرق ويمنحانه شهادة بجدارته وقدرته على الحياة ، واذا فعل الاسلام ذلك فهو من وجهة نظرهم يستطيع ألاستمرار والا فانه يهلك ويصبح

تراثا قديما : هذا هو الكمين المنصوب للاسلام ، وهو بمثابة «مؤامرة خطيرة » هدفها هزيمة الاسلام من الداخل وتقليم اظافره وتطويعه بحيث يصبح تراثا متخفيا يمنحه الغرب والشرق شهادة بالحياة .

والواقع أن حقيقة الاسلام تختلف عن هذا كله ، ولن تنصهر ابدا لا فى الفكر الليبرالى أو الفكر الاشتراكى ، بل سيظل الاسـلام قادرا على المحافظة على روحه وفكره ومقوماته ، وهو يعلم تماما انه اذا استغنى عن فكره وروحه سيفقد ذاته . والحل هو العودة الى التوحيد الخالص ، الى المنابع الأصيلة فى قوتها الدافعة وفهمها الواضح .

والمهم هو أن يدرك المسلمون البعد العميق الحقيقى للاسلام ، وهو تفرده بخصائص توجب عليه الا ينضوى تحت لواء أية قوة أو اى فكر او اية سياسة تخالف وجهته أو منطلقه او نهجه الربانى .

ان على مفكرى الاسلام أن يجيبوا على السؤال المطروح اليوم : ما هو المسلم وكيف يفكر وما هو موقفه ازاء تحديات الحياة وكيف يحافظ على روحه وكيانه الخاص بغير أن يذوب فى روح اخرى أو كيان آخر وفى نفس الوقت كيف يتعامل مع قضايا العصر التى يطرحها تجدد الحياة اليومية ؟؟..

* * *

(٦)
النظـــرة القرآنيـــــة

نحن فى اشد الحاجة الى أن نقول لكل صاحب نحـــلة يفردها بالنظر انه فى حاجة الى أن يبدأ من نقطة التكامل الجامع بين القيم الذى جاء به الاسلام ، ثم تكون النظرة المفردة مرتبطة بالأصل ، غير منفصلة عنه، قادرة من خلال موقعها الجزئى أن تتكامل مع القطاعات الأخرى .

النظرة القرآنية نظرة متكاملة ، تقوم على النظرة الجامعة ، وهى بناء ثقافى وحضارى وعقلى ووجدانى ، وهى جامعة لنظرات الفقهاء والمتصوفة وعلماء الكلام والأخلاقيين والمـــؤرخين والأدباء والفلاسفة فكل قطاع من هذه القطاعات يؤدى رسالة جزئية تتكامل مع الأجزاء الأخرى تحت مظلة الاسلام الجامعة .

نظرة الفقهاء تهتم بالجوانب التشريعية ، ونظرة المتصـــوفة تهتم بالجوانب الروحية والوجدانية ونظرة علماء الكلام تهتم بالعقائد ونظرة الاخلاقيين تهتم بالفضائل والرذائل ، ونظرة المؤرخين تهتم بالسير والحوادث والوقائع ، ونظرة الادباء والبلاغيين تهتم باللغة والأسلوب ، ونظرة الفلاسفة تهتم بما وراء الطبيعة ، وكل هـــذه النظريات الجزئية تتكامل فى الاسلام تكاملا جامعا فلا تستطيع أى نظرة من هذه النظريات أن تنفرد بنفسها على أنها النظرة الاسلامية الجامعة .

ولعل من أكبر التحديات التى تواجهنا هذه النظرة الانشطارية

التى ورثناها عن الفكر الغربى الوافد ، ولعل اكبر أسباب الخلاف قيام جماعة الذين يعتمدون على منهج الحدس والذوق والبصيرة ، وجماعة الذين يعتمدون على العقل والحس والمنطق ، وكانت من قبل هى جماعتى الفقهاء والمتصوفة . ولقد كان اكبر عمل المصلحين هو اقامة المنهج الجامع بين البصيرة والعقل ، أو منهج العقل والنقل اعتمادا على أن العقل يجب أن ينطلق من المفاهيم التى قدمهـــا الوحى .

أما النظرة العقلانية المجردة التى جاءتنا من الفكر الغربى والتى عرفناها قديما فى نظريات الفلاسفة والمعتزلة وعلم الكلام فانها لم تستطع أن تحقق شيئا كذلك فان نظرة أهل الوجدان فى اعتمـــاد الحدس والبصيرة وحدهما لم تحقق شيئا وظل الصراع قائما حتى تم التكامل الجامع فيما طرحه الامام الغزالى والامام أبن تيمية .

اننا فى أشـــــد الحاجة الى أن يتصـــوف السلفيون ويتسلف المتصوفة لننطلق جميعا من المنطلق الاسلامى الجامع للقلب والعقل، وهو نفس المنطلق الذى جاء به القرآن الكريم .

لقد وضع القرآن كما يقول الأســـتاذ سيد أبو المجـــد اساس المعرفة واستوعب طريق وسائل المعرفة جميعا وجعل منهـــا كلا متكاملا غـــير قابل للتمزق . وضع القرآن مفهوم المعرفـــة الجامع على أساس الكم والكيف ، والمادة والروح والغاية والسبب ، وربط القرآن بين الحواس والعقل والوجدان ، ووضع أهم القواعد التى تحفظ العقل من الزيغ ، وهو عدم تجاوز الحد ، وان الغيب فـــوق طاقة العقل وقدرته ، كما دعا الى التقدير والتقرير وعدم التعجل فى الحصول على النتائج قبل استكمال البحث والموازنة والاستقراء ، ودعا الى التخصص قبل البحث وعدم المكابرة والعناد ، ودعا الى المواجهة والمعاودة والاستمساك بالحق ، والبعد عن الغرور ومع الجهر بالحق والدفاع عنه .

ان من أخطر ما تواجهه اليوم ذلك التمزق الفكرى حيث تعلو صيحة التخصص فهذا متخصص فى اللغة وهذا فى الفقه وهذا فى العقائد ، وهذا فى التاريخ ، وهذا فى الفلسفة ، وهذا فى التربية ، وهذا فى الاجتماع .

هذا التخصص ضرورة وهو عمل نافع ولكن قيام الأسوار بين التخصصات من شأنه أن يفسد النتائج التى تنتظرها منه الأمة .

ان الدعوة الاسلامية هى دعوة جامعة ، تتكامل فيها كل هذه العناصر ، فنحن متخصصون فى مجال العلم ولكننا متكاملون فى مجال الدعوة ، علينا ان نصب هذه التجارب المتخصصة كلها فى بوتقة الدعوة الاسلامية حتى يمكن الانتفاع بها من أجل بناء المنهج الاسلامى الجامع الأصيل .

لقد كان الفكر الاسلامى فى ابان مجده وقوته فكر دعوة جامع متكامل ، تلتقى فيه كل التخصصات على قاعدة الانتفاع به ، أو التكامل بين العناصر ، أما التخصص بالمفهوم الغربى الذى يتوقف عند الجزئيات فانه لاينفع بالنسبة للفكر الاسلامى القائم أساسا على النظرة الجامعة ، فلينبنى لكل مفكر متخصص أساس عال واسع عريض من النظرة الاسلامية الجامعة أولا التى تحيط بكل العناصر والتى تعرف مكان هذا التخصص على الخريطة الواسعة ثم يكون التخصص مرتبطا بخيط واضح الى الدعوة الاسلامية الجامعة لكل الفروع والتخصصات .

وبذلك يستطيع الفكر الاسلامى ان يخرج من هذا القيد الذى يحاول أن يحجبه فى جزئيته والمستفيد من هذه الدائرة المغلقة هو الفكر الغربى : فكر التغريب الذى ينظر الى الفكر الاسلامى فى حربه اياه ككل لانه يعرف ان تكامل الفكر الاسلامى هو المنطلق الأول لوحدة الفكر الاسلامى التى هى أساس بناء حضارة الاسلام المتجددة فى القرن الخامس عشر الهجرى .



(٧)
فشـــل الاتجاهيـن الوافديـن

علينا أن نعمل على تصفية نفس الفرد المسلم من عقدة النقص تجاه الثقافة الغربية الحديثة فى صورتيهما المتقابلتين اللتين واجهتنا فى احتكاكنا مع الغرب فى صورتى الفكر الليبرالى والفكر الماركسى ، وهما فكران لها مصدر واحد هو النظرية المادية وان الفكر الماركسى لم يكن الا رد فعل لتجاوزات الفكر الليبرالى ، فليس احدهما منهجا اصيلا للبشرية ، ولكن احدهما كان استجابة للأوضاع التى عاشتها اوربا بعد ظهور عصر الصناعة والآلة والاستعمار ونهب الثروات من البلدان التى استولوا عليها ، فى خلال ذلك نشأت تلك الفلسفة التى تحتقر الملونين ، وتحاول ان تبرر السيطرة على هـــذه البلاد بمراوغات تسمى التميز الجنسى واللونى وهى كلها دعوات كاذبة اثبتت المراجعات العلمية كذبها وفسادها ، وتأكد ان العقل البشرى قادر فى أى مكان سواء فى جنوب افريقيا أو الاسكيمو على العطاء متى توافرت له الظروف وتهيأت البيئة . ولقد خدع المسلمون طويلا بتلك النظريات التى طرحتها الليبرالية ثم الماركسية ولكن التجربة هناك ، وما جرى هنا فى العـــالم الاسلامى من متابعـــة على نفس الوضع ، فشل هاتين التجربتين بل ان العالم الآن يصرخ مطالبـــا بنظام اقتصادى جـــديد ، فضلا عن فساد التجربة الاجتماعية والحضارية وما يتصل منها بالعلم والتكنولوجيا وانحرافها عن النهج الصحيح الذى يؤدى الى سلامة التوزيع وعدالة العطاء .

لقد فشل الاتجاهان الليبرالى الغربى والماركسى الشـيوعى ولا يعنى هذا قطع الحوار مع الغرب ولكن يعنى فشل التقليـد فى تجاوز أزمة الحضارة المعاصرة ومن ثم فان هناك منهجا جـديدا يستطيع أن يعطى الانسانية كل مطامحها التى تتطلع اليها من وراء الايدلوجيات ، ذلك هو « الحل الاسلامى » .

ولم يعـد فى الامكان الا أن يتوجه المسلمون الى منهجهم الأصيل لتربية أجيالهم واقامة المجتمع الربانى ، وذلك بالالحاح على تكوين العقيدة المؤمنة بالله الواحد ، خالقا ورازقا ، ورد كل أمور الحياة والمجتمع والعلم والحضارة الى منهجه الصحيح ولا بد من مولد الانسان المسلم ميلادا جديدا والخروج من الدائرة المغلقة التى حبست الحضارة الغربية المسلمين منها .

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

أعتقد أننا على رأس القرن الخامس عشر قـد وصلنا الى « اكتشاف الذات » والتعرف على الاصالة ، والتماس الرشـد الفكرى .

***

ان هناك حقيقة أساسية يجب أن نتنبه اليها : لقد انفصـل الفكر الغربى عن قاعدة الايمان بان مصادر نواميس الكون وقوانينه قد أرساها الله تبارك وتعالى وبذلك وقع الانفصام بين العـلم والايمان ، بين المادة والروح ، كذلك فقد انفصل الفكر الغربى عن قاعدة ارتباط خلافة الانسان فى الأرض بشرط عبـادة الله تبارك وتعالى وتحقيق غاية الوجود الانسانى وهو اقامة منهج الله . ان الفكر الغربى يريد أن يبعد ارادة الله عن غاياته ووسائله وبذلك يبعد حدوده وضوابطه ولو عقل لعرف أن الحضارة والعلم همـا عطاء الله تبارك وتعالى عن طريق عقـل الانسان ولذلك فلا بد لنجاحهما أن يسيرا فى طريق الله والى غايته .

اذن فلا بد من العودة الى المفهوم الأصيل حتى يمكن تصحيح مسار البشرية الحق .

ولا بد من معرفة « مهمة » الانسان فى الأرض ، وانه مستخلف لتعمير الكون فى اطار بناء منهج الله تبارك وتعالى فاذا انحرفت الحضارة عن هذا المعنى ، ونسيت او تجاهلت هذا الهدف حق عليها ان تنهار كما هى اليوم .

ان العلم الآن يقدم مادة ملتهبة لتدمير البشرية ، ولكن العلم فى مفهوم الاسلام يجب ان يقدم عطاءه لاسعاد البشرية وان يكون الأمر عادلا بحيث يشمل الناس جميعا ولا يكون قاصرا على قلة قليلة من الثراة ، او أن يكون قاصرا على أمة بعينها أو دولة بعينها ، أو أن يكون موجها الى الاسراف فى مجالات الترف أو التسلح وتخـــزين القذائف ، وانما يكون ذلك كله موجها للتجمعات الفقيرة فهـذا حقها ومن ثم تسقط تلك الدعوى المضللة التى تقول بالانفجـــار السكانى وهى فى الحقيقة ليست الا الجشع الذى يريد أن يعطى (٦ فى المـائة) من سكان العـالم ما يوازى (٦٠ فى المـائة) من نتاجها ،وأن تترك البلاد التى تصدر الثروات العالمية الضخمة فقيرة مدقعـة .

لا بد ان يعتدل الميزان ليكون المجتمع البشرى ربانيا وتتجـه الحضارة الى الاصالة والا فانهما سوف يسقطان كما سقطت حضارة الرومان والفرس واليونان التى أسقطها الانحراف والفساد والاباحية وسوف يتحقق منهج الله ويقوم المجتمع الربانى .

* * *

(٨)
العبوديـــة لله

على المسلم فى رحلة العمل أن يبدأ من منطلق الايمان ويقـــدر معنى العبودية لله ، ومعنى تزكية نفسه من خـــلال انتمائه لدين الله الحق واسلام الوجه لله ، واعلان عبـــوديته الخالصة للخالق فلا عبودية الا لله تبارك وتعالى وحده والانسان مستخلف فى الأرض والكون كل مسخر له ، من أجل عبادة الله بعمارة الأرض . والاسلام لا يقر عبادة الله فى العزلة عن المجتمع ولكن بالحركة داخل المجتمع وبتطبيق الاسلام مع خلق الله فى المعاملات بالعدل والاحسان والرحمة والغيرية فاخوانه البشر ليسوا مسخرين له فلا يحق له أن يقسوا عليهم أو يظلمهم ، ورباط الرحمة يجب أن يسود الأسرة والمجتمع وكل من يعــرف أو يتعرف وعلى المدى الأوسع « تعارف » الأمم وامتداد العلم والخير الى كل من يستظل بظل الاســـلام فالانسانية جميعها وان تستخدم الأمم علمها وفكرها وعطاءها للآخرين بالمودة والرحمة وهذا معنى الخلافة فى الأرض فى مفهومها الرشيد ، ومعنى العطاء بســـماحة واخلاص دون تكبر فى الأرض أو اســـتعلاء على الغـــير .

وفى هذه النقطة يتمثل مفهوم الحضارة الاسلامية ، الذى يختلف بل يتباين مع ما نراه فى الحضارة الغربية اليوم من أنانية واستعلاء بالعنصر وحجب لمعطياته عن من يســـمونهم الشـــعوب المتخلفة ، وهذا تتميز به الحضـــارة الاسلامية عن جميع الحضـــارات التى

عرفتها البشرية وهذا هو ما يعطيها الضوء الذى سينتهى لها الى الطريق فى مقتبل البشرية .

***

يقول السيد محمد نجاه الدين الصديقى : ابتكر المسلمون الأوائل مجموعة متكاملة من القوانين التى تؤهلهم لحياة كريمة تتمشى مع التعاليم الربانية المنزلة . لقد بدأوا بدراسة الانسان توطئة لعملية التحول الاسلامى وجددوا سير الحياة المثلى : اقتصاديا وسياسيا . وكان اهتمامهم بالعدالة الاجتماعية كبيرا لان فى ذلك رضا الله سبحانه وتعالى . اتبعوا القول بالعمل فى الزراعة وتربية الحيوان والصناعة والتجارة . وبذلك كانت نظريتهم وافية للمتطلبات المادية فى اطار الأخلاق الفاضلة والقيم الروحية . والحوا على البحث عن المعرفة النافعة والحث على تطبيقها لتحقيق المجتمع الصالح بغية ارضاء الله تبارك وتعالى . كانت من خصائص هذه المرحلة من نتائج المثل التى جاءت من التوحيد الذى ينادى بالحرية المنضبطة والأخلاق الكريمة .

وهكذا قدم الاسلام مفهوما للحضارة تختلف عن مفهوم الأمم والحضارات السابقة ، قوامه عبادة الله تبارك وتعالى بالعلم والعمل والخلق والمسئولية الفردية ولقد وعى هذا المعنى بعض الباحثين الغربيين : قال جورست .

« لمسنا فى الاسلام طاقتين عجيبتين : هما التجدد والخلود .

ومن يكن له مثل عينيك الخاصتين : لا يفنى ولا يبيد .

تلك هى دعائم الاسلام الثلاث : (العقيدة ، المعرفة ، الحضارة) .

١ — العقيدة : ايقان بالوحدانية واعتراف بالنبوة وتمسك بالوحى وايمان بيوم الحساب .

٢ ــ **المعرفة** : تستمد أصالتها ونضجها من القرآن كلام الله ثم من السنة تولدت عن المعرفة خشية (انما يخشى الله من عباده العلماء) علوم وفهوم وآداب وفنون تمايزت مع كثرتها مع ضدين : وسائل ومقاصد .

٣ ــ **التجربة** : التحليل الدقيق واستخدام الطرائق والمناهج وقد اقتحم الاسلام التجربة وتفتحت أمامه اقامتها ومنها جاء المنهج التجريبى عماد الحضارة الغربية الحديثة .

***

نعم لقد حرر الاسلام البشرية من الوثنية (عبادة غير الله) ومن العبودية (عبودية الانسان للانسان) ومن القبلية (الاستعلاء بالدم والعنصر) ومن البدوية (الاقامة فى البادية) ودعا الى التحرر منها جميعا فى سبيل بناء الحضارة : بالتوحيد والتعارف ، والتماس جميع المعارف الموروثة ودراستها وتحليلها وكشف الصحيح من الزائف ، وصهر الصحيح فى أطار التوحيد وبذلك حرر البشرية من فساد الحضارات القديم ودعاهم الى عبادة الاله الواحد الأحد واسلام الوجه له واقامة المجتمع الربانى ، وجمع كل من قال (لا إله إلا الله) تحت لواء الأمة الواحدة ، فالاسلام جنسية والاسلام نسب وبذلك أحل قرابة الايمان والعقيدة ووحدة الفكر محل قرابة الدم والمدن المفتوحة ومزجهم مزجا قويا على مبداه الاخاء ودعاهم الى وحارب العصبية القبلية . ونقلهم الى المدنية فى الأقاليم الخصبة الانطلاق فى اقامة الأرض مبلغين كلمة الله فذهبوا فى أقل من ثمانين عاما الى سور الصين العظيم شرقا والى نهر اللوار فى قلب فرنسا غربا .

وصدق من قال : اننا نجد فى الاسلام دعوة رصينة للتقدم تربط ربطا متينا بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وبين المادة

والروح ، وبين الدنيا والآخرة ، على جميع الجبهات طولا وعرضا وعمقا ، فالتقدم ليس حتما مخالف للقديم أو ضدا له اذ هما يرجعان الى نفس المادة فى لغة العـرب ، ولعـل الحضـارة الاسـلامية فى جوهرها أميـل الى التجديد والتطوير والتغيير فى الفروع والى الثبات فى الأصول (حدود الله ومقـومات المجتمع) ولكن المسلمين ذهبوا فى السنوات التى سبقت النقطة الى الاسلام والفتور والجمود تحت مفهوم الجبرية الصوفية والآن وقد رفعوا عنهم هذا المفهوم بالتماسهم منهج القـرآن الأصيل فى متابعة فهـم على أبواب عصر جـديد .

* * *

(٩)

محـــاولات تغـــريب الإســـــلام

ما يزال المسلمون يقاسون من محاصرة حركة التغريب لفكرهم الاسلامى :

والتغريب كما قال دعاته :

(١) هو خلق عقلية جديدة تعتمـــد على تصورات الفكر الغربى ومقاييسه ثم محاكمة الفكر الاسلامى والمجتمع الاسلامى من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسويدها على حضـــــارة الأمم ولا سيما الحضارة الاسلامية والتغريب .

(٢) هـــو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الاستسلام والاحتواء والتحرك من داخل دائرة الفكر الوافد واخراج المسلمين من دائرة قيمهم بما يخلق شعورا بالنقص فى نفوس المســــلمين وتحريف التاريخ الاســــلامى وتشويه مبادىء الاســـلام وثقافته وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ البشرية . ويهدف التغريب

(٣) الى خلق اجيـــال جديدة من المســـلمين والعرب تحتقر مقومات الحياة الاسلامية والشرقية وأبعاد العناصر التى تمثـــل الثقافة الاسلامية عن مراكز التوجيه .

(٤) تدمـــير البطـــولات العربية والاســـلامية والتشكيك فى عظمتها وفى مقدمتها الرسول الكريم وصحابته وأبطال الاســـلام ومفكريه واخطر محاولات التغريب « وضع البديل » فى مواجهـــة

الأصيل والعمل على تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع وتحوطها هالة من الدعاية لخنق كل فكرة اصيلة ولتحويل الراى العام عنها فى ظل طوابعه من الاغراء والتزييف وتحت اسـم البحث العلمى والعبارات البراقة الخادعة .

ودعاة التغريب اكثر النـاس استعمالا للاساليب المقوتة فى البحث من الحماسة الى التقريرية الى التعميم فى الأحـكام الى التقاط المصادر غير الموثوق بها وتغليب الهوى ، والآراء المسبقة التى يواجهون بها الأمور ويبحثون عن نصوص لتأييدها .

ولقد اعتمد التغريب على مصدرين « الاستشراق » و« التبشير »

والتبشير ليس ادخال المسلمين فى المسيحية بقدر ما هـو اخراجهم من الاسلام وقد تركز الآن فى صورة خفية مضللة فى مجال التربية والثقافة .

يقول هاملتون جب : فى كتابه وجهة الاسلام (لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدرسة العصرية والصحافة ان يترك فى المسلمين ولو من غير وعى منهم أثرا يجعلهم فى مظهرهم العام « لادينيين » الى حد بعيد ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ماتركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامى على حضارته من آثار » .

وتتمثل أعمال التغريب فى محاولات خطيرة تستهدف مفهـوم الاسلام واصالة فكره :

١ ــ هناك محاولة لتسليم (أهل السنة والجماعـة) الى الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة كالقاديانية والباطنية .

٢ ــ محاولة صهر النظريات الغربية والوجودية والديمقراطية فى اطار الاسلام واقامة جسور وقناطر بين الفكرة الاسلامية وهذه

النظريات ، ومنها محاولة الماركسيين فى الدعوة الى الالتقاء بين الاسلام والماركسية مع العلم بأن الماركسية والاسلام لا يمكن أن يلتقيا .

٣ — محاولة تفسير التاريخ الاسلامى تفسيرا ماديا أو ماركسيا يحاول أن يتبع العوامل الاقتصادية ليجعل منها نقطا لتحرك التاريخ الاسلامى أو ايجاد التفسير المادى المنكر للغيب والنبوة وما وراء المـادة .

٤ — محاولة لوضع الشريعة الاسلامية فى مجال تبرير الواقع المعاصر فى الأمم المعاصرة والحضارات المعاصرة أو ذلك بالقـول بأن الشريعة الاسلامية مرنة وانها تقوم على قواعد عامة ترتضى القوانين الوضعية مع تعديلات يسـيرة وهو قول باطـل كل البطلان .

٥ — محاولة التقليل من شأن الفصحى ، واعلاء العاميـة بالدعـوة الى ما يسمى باللغة الوسطى أو محاولة كتابة القـرآن بطريقة الاملاء الحديثة .

وبالرغم من أن نظريات تغريبية كثيرة سقطت فان هنـاك محاولات جديدة لاعادتها بأسلوب آخر ، وهناك قضايا يجب أن تكون واضحة أمام المثقف المسلم مدى الاختلاف العميق من مفهومها الاسلامى ومفهومها الغربى وهناك ثلاث قضايا كبرى : هى قضية التقدم وقضية التطور وقضية نسبية الأخلاق . فالتقدم فى مفهوم الاسلام تقدم مزدوج : مادى وروحى والتطور يعنى أن ما هـو قائم الآن أكثر تقدما مما مضى وهو مفهوم خاطىء فان التطـور فى حقيقته لا يعنى أن الحاضر خير من الماضى ، ونسبية الأخلاق تجعل الأخلاق لباسا يضيق ويتسع مع العصور والبيئات بينما الأخلاق قيم ثابتة على جميع العصور والبيئات والأخلاق ثابتة بثبوت الدين بينما التقاليد تصنعها المجتمعات .

(١٠)
تكامـــل الإســــلام

نقل الاسلام « البشرية » من الاعجاز المـــادى الى الاعجاز المعنوى . من الخوارق الى آية البيان الكبرى « القرآن » ومن المعجزة الحسنة الى الايمان : ايمان العقل والقلب ، **(وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون)** كانت الآيات والخوارق : شأن البشرية قبل أن تنضج اما وقد أصبحت البشرية قادرة على تقبل رسالة عالمية ، فقد جاء الاسلام عصارة رسالات الأنبيـــاء معجزة يراها من عاشها فقد استطاعت خلال أقل من ثمانين عاما أن تمتد من حدود الصين شرقا الى حـــدود فرنسا غربا بينما لم تكتمل الدولة الرومانية امتدادها ألا بعد الف عام . ولقـــد جاء الاسلام رسالة عالمية وانسانية وربانية تخاطب العالمين وتتحدث الى العقل والقلب الى يوم القيامة : بالفطرة والعلم والمثـــل الأعلى قال صلى الله عليه وسلم : **((ما من نبى الا أوتى الخوارق ، أما أنا فقد أوتيت وحيا يتلى فارجو أن أكون اكثرهم تابعا يوم القيامة))** .

قـــدم الاسلام منهجا ربانى المصدر ، انسانى الهدف ، عالمى المنطق ، جامعا بين الروح والمادة ، والعلم والعقل ، والدنيـــا والآخرة ، فاستجابت له الفطرة السليمة ، لانه لم يحمل أحدا على فهم معقد ، أو نظرة فلسفية ، أو منطقا مضطربا ، لقد جمع الاسلام بين الزمنى والروحى ، والمطلق والنسبى ، واللانهائى والمحدود ،

ومن الأرض والسماء ، وخلود الآخرة وفناء الدنيا ، وفيه لاتتم الدائرة الا بعد التقاء القوسين :

الروح والمادة ، الفرد والجماعة ، والعقل والقلب ، ولما كانت الدائرة الكهربائية تتم بالسالب والموجب معــا فى وقت واحد وهما متضادان حيث يخرج الضوء وتظهر الطاقة . ولا يستلزم التضاد بين السالب والموجب حـــدوث الصراع بينهما أو التصادم بين المتضادين ، بل لقاء المتضادين يرسم دائرة التكامل .

وقــد جمع الاسلام بين الادراك الحسى ، والادراك العقلى وادراك البصيرة بينما تقسمت النحــل والفلسفات بينهما وتعصبت كل جماعة لواحدة منها .

وامتاز الاسلام على غيره من الديانات الأخرى بكونه : مذهبا وعقيدة ومن شأن هذا التكامل : القدرة على مواجهة التحديات ، واعطاء الحلول الفعالة والصالحة ، وتجاوز حدود الزمان والمكان التى تسيطر على الدعوات والمذاهب البشرية . والثبات الذى هو اطار الاسلام انما تشير الى ثبات خلق الله للانسان الذى هو هو لم يتغير بعواطفه وخلجاته وبتحالفه وتخاصمه وبحروبه واهــواله ، والثبات فى الاسلام يتمثل فى أن الحق واحــد لا يتعدد ((**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة**)) والاســلام أهداف ثابتة ووسائل متغيرة ، وثبات فى الأصول وتغير وحركة فى الفروع .

ومن تكامل الاسلام : نفسا وعقلا يتحقق :

تربية العقل وتحريره من الضلالة .

وتربية النفس وتحريرها من الأهواء .

قال الامام الترمذى : انا وجدنا دين الله مبنيا على ثلاثة اركان:

على الحق والعدل والصدق : فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول . فاذا ما افتقد الحق عمل خلفه الباطل واذا افتقد العدل خلفه الجور واذا افتقد الصدق خلفه الكذب .

ان ابرز معطيات الاسلام : الترابط بين الفكرة والتطبيق . ورفض مبدأ العلم لذاته ، وأقرار المبدأ الذى يؤكد أن العلم انما يطلب من أجل العمل به والاستفادة منه فى تحسين الحياة الانسانية وتقدمها ، ذلك أن طبيعة الانسان تجمع بين قدرة النظر وقدرة العمل : تحصيل العلم وتقديم العمل .

وان فقدان هذه القدرة العملية من شأنه أن يعوق التقدم الانسانى لقد حل الاسلام ثلاثا من أخطر قضايا البشرية على مدى العصور :

١ ــ العنصرية .

٢ ــ القبلية .

٣ ــ الطبقية .

فقد شجب الاسلام « العنصرية » واحل بدلا منها الاخاء .

وشجب الاسلام « القبلية » واحل محلها التعارف .

وشجب الاسلام « الطبقية » واحل محلها التضامن .

وقد أتاح الاسلام الفرصة للجميع على قدم المساواة ، والتفاوت فى الاسلام يرجع الى القدرات والمواهب والخبرات ، هذه التى تأتى عن طريق الحضارة والصفات النفسية والفكرية والجسدية .

وقد جاء الاسلام عقل وقلب نور العقل وأشواق القلب وكلاهما يستمد من الوحى **« لهم قلوب يعقلون بها »** .

فهو عقيدة تخاطب العقل بالدليل والبرهان وتخاطب القلب بالايمان وهى الى ذلك كل لا يتجزأ ، لأن العقـــل والقلب ليسا الا جهازا واحدا وسلم القيم فى الاسلام يبدأ من الايمان والأخلاق والتقوى فطاعة الله فى أول القائمة لا يتقدم عليها شىء والأخلاق مرتبطة بالعقيدة أما الحرية والمحافظـــة على الشخصية وتدبير فتأتى بعد ذلك وتتحرك فى ضوء التقوى والأخلاق .

وما يزال فهم القرآن هـــو الورد النمير ، ومناهج العــلوم والتربية والاقتصاد هى روافد من النهر الكبير ، منها تستمد واليه تعود ولا تسقط أن تقوم بذاتها واذا انفصلت ماتت .

وفارق كبير بين مذهب جامع متكامل وبين مذهب جزئى : مذهب مادى خالص أو روحى خالص يختلف تماما عن مذهب جـــامع بين الثبات والتطور والروح والمادة والواقع والغيب والحرية والعدل.

والواقع المشاهد هو نقص منهج الانسان والنفس والمجتمع فى الديانات الأخرى واكتماله فى الاسلام ، فنحن نرى رهبانية المسيحية ومادية اليهودية والتناقض بين التوراة والانجيل .

والمنهج العلمى فى البحث الاسلامى : هو الخروج عن الذاتية والظن وما تهوى الأنفس الى الدليل والبرهان **« قل هاتوا برهانكم »**

ومن هنـــا نرى حاجتنا الى التفرقة بين التقاليد والأخـــلاق ، والتفرقة بين العقيدة والتاريخ والتفرقة بين الأصيل والوافد .

وان طابع الحضارة فى الاسلام اخلاقى فى أساسه وهنـــاك ارتباط حقيقى بين الحضارة وبين نظرتنا الى الكون .

وقد أشار القرآن الى « الارادة الحرة » للانســـان فى ثلاثة وستين موضعا وهى الارادة التى يحاسب الانسان عليها ، والتى تدور فى داخل ارادة الله .

ونحن نؤمن « بأن دين الله واحد وشرائع الأنبياء مختلفة » وتلك حقيقة جديرة بأن نتدبرها ونفهمها حتى لا تخدعنا كلمات المستشرقين والمبشرين الذين يقولون : ان فى القرآن تشابها لما ورد فى التوراة والانجيل ، ذلك لأن مصدر الدين واحد وأن هذه الكتب فى متنزلها كانت من عند الله ثم لم يحتفظ أهلها بنصوصها سليمة فدخل عليها التحريف ومع ذلك فقد بقيت خطوط عامة متشابهة بين الأديان وبين الكتاب الخاتم .

***

(١١)
الشخصيـــة الإسلاميـــة المتميـزة

ينبغى أن يؤخــذ الاسلام من المنابع الأصيلة ، وعلى الأمـــة الاسلامية ان تتحرر من عبودية التقليد سواء فيما دخل على الأمة فى ماضيها أو فى حاضرها مما يعارض الاصالة والفطرة . وخاصة ما يتعلق بالحيل الفقهية او تبرير الواقع الفاسد ، ولا بد من العمل على تخليص الاسلام من التأثير الأجنبى وخاصة فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع . وقد اتفقت وجوه الرأى أن مبادىء الاسلام هى الموئل الحقيقى أمام المسلمين كوسيلة للتقدم العقلى والعلمى والاجتماعى .

وليس اى طريق آخر من الطرق التى يدعيها فريق مضلل يحمل اليوم سترة الاسلام ليفت فى عضد المسلمين بالرخص أو يدفعهم الى قبـــول الواقع المختلط الذى خلقته الحضـــارة الوافدة مع ســـوء فهم المسلمين لها أو عجزهم عن التحرر من آثارها .

ان خطر التقليد هو انمحاء الذاتية ألاسلامية فى الزمن فالدعوة العصرانية فى فهم تفسيراته الاسلام هى جزء من مخطط التغريب وهى دعوة الى الذوبان فى الغرب .

لقد حرص الاسلام على وجود الشخصية الاسلامية المتميزة :

(لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال صلى الله عليه وسلم : فمن ؟ !

وهذا هو مايحدث الآن :

- تقليد فى مناهج الفكر وتصور الأمور (ماركسية وليبرالية) :
- تقليد فى أسلوب العيش (فى الأخلاق والعادات والتقاليد)
- تقليد فى مفهوم الحرية الخاطىء (بعيدا عن الأخلاق التى هى جزء من الدين) .
- تقليد فى السفور والفجور واباحة الاختلاط وهتك الحريات وغشيان الملاهى .
- تقليد فى القوانين الوضعية التى تحل الربا وتبيح الزنا .
- تقليد فى القوميات والعصبات .
- تقليد فى التشريع والنظم والقوانين والاقتصاد والتربية .
- تقليد فى الاستهانة بالعقيدة .
- تقليد فى الذوبان فى الغرب وفصل الدين عن الدول .

هذه المتابعة على الطريق الذى يرسمونه عن طريق الصحافة والثقافة ومعاهد الارساليات فى تناول الأمور وتصور الأحداث هو متابعة على جحر الضب ونحن لدينا صيحة القرآن واضحة صريحة :

« يا ايها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين اوتو الكتاب يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » .

قال محمد اقبال : لا خطأ فى الاسلام وانما الخطأ فى طريقة اسلامنا .

نعم : لا يمكن أن يكون الاسلام مسئولا عن التدهور ، أن الاسلام محجوب الآن بالمسلمين . وأن الغرب يخاف نهضة

المسلمين من خلال الاسلام ، ولن ينهض المسلمون عن أى طريق آخر فكل الطرق المعروضة عليهم انما تهدف الى استنزافهم ، وتعويق مسيرتهم ، بل وتحويل طريقم الى « التيه » وعلى هذا يتركز مخطط الاستعمار والتغريب والاستشراق والتبشير فى هذه المرحلة : أول القرن الخامس عشر .

ان الاسلام يقدم وحدة الفكر التى هى « العروة الوثقى » التى تجمع حولها المسلمون ، ويركز الاسلام مفهوم الحضارة فى أن التكوين المؤدى هو أساس التقدم ، وان التقدم العلمى هو حاجتنا الوحيدة من الغرب شريطة ان نصهره فى بوتقة العدل والرحمة والأخاء الاسلامى .

* * *

ان الفكر هو الذى يقود المجتمع ، والفكر يسبق السلوك ولذلك فان « تصحيح المفاهيم » من شأنه أن يخلق قوة فكرية قادرة على التوحيد فى مجال الحياة . ان الانسان فى نظر الفكر الغربى حيوان ، والمسيحية تقول ان الانسان آثم بحكم ولادته ، والهندوكية والبوذية تقول انه مجبور التناسخ والاسلام وحده هو الذى يقول أنه سيد الكون تحت حكم الله .

والاسلام يعنى الاستسلام والانقياد والاتباع واسلام الوجه لله ولمنهجه فالفكر الاسلامى هو ذلك النمط من التفكير الذى يصدر عن مؤمن يحمل هذا المفهوم الخالص . ويجب التفرقة بين الفكر الاسلامى والمعلومات الاسلامية فالفكر الاسلامى : واقع حى بخصائصه واصالته متجدد ، قادر على العطاء فى كل الظروف والبيئات .

والاسلام كما أنزله الحق تبارك وتعالى « وحى » **« لا يأتيه**

الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، وما أجدرنا أن نفرق بين الوحى المنزل الذى هو الاسلام وبين الفكر الاسلامى وهو التأمل واعمال النظر فى ذلك الوحى ، وما خلفه لنا السلف الصالح من احكام فقهية وآراء علمية فى التفسير الحديث هى أضواء كاشفة على (القــرآن والسنة) تمدنا بالوجهة والأسلوب والخبرة والتجربة وتمكننا من مواجهة أحداث عصرنا .

* * *

(١٢)
الفصحى لغة القرآن

ماتزال اللغة العربية الفصحى هدفا من أهداف التغريب والغزو الثقافى ، وعلى مدى العصور تبرز كتابات تعارض الفصحى تحت أسماء براقة أو اكاديمية ، تحمل مدخلا علميا خادعا وانما تستهدف فى الحقيقة مهاجمة الفصحى لأنها لغة القرآن الكريم ، وبعد أن كان جبران خليل جبران يقــــول فى جرأة « لى لغتى ولكم لغتكم» فى الثلاثينيات نجد اليوم الدكتور لويس عوض يكتب كتابا فى أكثر من خمسمائة صفحة تحت عنوان « مدخل الى تضية اللغة العربية » يحاول فيه ان ينال من الاعجاز والقرآن واللغة والعرب ويلتمس نصوصا مبتورة من هنـــا وهناك لتخدم هدفه الذى حدده مســـبقا وحاول ان يجمع الشبهات من أجل اعادة تقديمه مرة أخرى ، بعد ان ردد هذه السموم كلها مرات ومرات منذ صدر كتابه (بورتولاند) ١٩٤٧ حيث حمل فيه على الفصحى ودعا الى العامية أما اليـــوم فيجىء ليقول أن العرب « شعب قوقازى » جاء من القوقاز الى الجزيرة العربية وحمل معه لغته القوقازية التى هى فرع من اللغات الآرية وبهذا الادعاء الباطل الذى لم يعتمد فيه على أى اســـناد صحيح ، حاول أن يقلل من شأن اللغة العربية .

الحقيقة أن الهدف ليس هو اللغة العربية ولكنه القرآن الكريم الذى وحد العرب وحفظ للغة العربية كيانها أربعة عشر قرنا فلم يمكن أن تتحلل كما تحللت لغات الغرب وذلك بفضل القرآن الكريم .

أن الحملة على اللغة العربية بدأت منذ قرن تقريبا وبدأت بشبهات آثارها ويكلوكس وويلمور وغيرهما ثم ظهر من التغريبيين من حمل لواء هذه الدعوة مثل لطفى السيد وسلامة موسى وغيرهم .

أن الهدف الذى تجرى وراءه قوى كثيرة هو القضاء على اللغة الفصحى واحلال اللغة العامية محلها وذلك حتى ينفصل البيـــان العربى والأسلوب العصرى عن بيان القـــرآن فتحدث فجـــوة من شأنها أن تتسع عاما بعد عام حتى يقرأ القرآن فيما بعد بواسطة قاموس ، ولمـــا كان هذا لن يحدث أساسا فان المحاولة التى يقوم بها الاستشراق والغزو الثقافى لم تتوقف ، وعلينا أن نكون فى تمام اليقظة لمواجهتها لأنها موجهة الى الاسلام وليس الى اللغة العربية .

ان اللغة العربية هى مفتاح فهم الاسلام والاحاطة به وبدونها سوف تضيع معالمه ويجهل الناس حقائقه وتعاليمه ، ووســـائل الحرب خادعة ماكرة لا تواجه الأمور مواجهة ، لأنها تعرف مدى حساسية ذلك ، ولكنها تعتمد أساليب ماكرة تحت أسماء «التطوير» و « التهذيب » و « الاصلاح » وتحاول ان تتحدث عن النحـــــو وأسلوب الكتابة وحروف الكتابة وغيرها وهناك محاولات أخرى تجرى داخل المجامع اللغوية حول دراسة اللهجات ونود ان تكف تلك الجهات محاولاتها تلك فان اللهجات العامية لا يمكن — كمـــا يقول الأمير مصطفى الشهابى — أن تكون لغات علم وأدب وثقافة وليس فى مقدورها أن تعيش طويلا أو أن يعـــم بعضها أو كلهـــا الأقطار العربية كافة وكل ما يكتب بلهجة عامية سيظل محصورا فى قطره ، وقلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر فاذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ووضعنا لها قواعد رجرأجة فماذا تكون مغبة هذا العمل ، ان أخشى ما نخشاه أن يستهوى هذا الموضوع عقول بعض الطلاب فيعكفوا على معالجة تعليم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفـــة ، ويكون فى ذلك تشـــويش وضرر يباعد بعض الأقطار العربية عن بعض بدلا من أن تتوحد بلغتها ، أى أن تكون النتيجة

مخالفة تمام المخالفة لما يتوقع من تدريس اللهجات العامية فى خدمة الفصحى .

أما القول بان تدريس هذه اللهجات يفضى الى معرفة مشكلات الفصحى والى مداواة ادوائها فهـو قول ضعيف فأداء الفصحى معروفة تحتاج الى من يعالجها باخلاص واهمها وضع المصطلحات العلمية او تحقيقها وتبسيط قواعد الكتابة والاعـراب والصرف والنحـو وتبسيط الكثير من تعليلات القواعد الصرفية والنحوية. ان قضية الفصحى والعامية لا تحل بدراسة اللهجـات العامية وتدريسها للطلاب بل تحل بنشر التعليم فى سواد الشعوب العربية ومنها فرض التكلم بالفصحى على المعلمين وعلى التلاميذ فى جميع المدارس .

ان هناك صحوة واضحة فى العالم الاسلامى اليوم تدعو الى اتخاذ اللغة العربية لغة عالمية للمسلمين تسبق اللغـات المحلية لأنها لغة الفكر والثقافة والعقيدة ،

والحروف العربية هى بشهادة عديد من الباحثين ــ هى اصلح حروف الأبجديات قاطبة لكتابة الالفاظ ومن اكثرها دقة فى ضبط الاصوات وقد استطاعت أن تؤدى من أنواع الكتابة ما لم تستطع أى أبجدية أن تؤديه فقد استطاعت أن تكتب هذه اللغات جميعـا دون تعديل أو تغيير أو أضافة فى اشكالها الأساسية .

وستمضى اللغة العربية الفصحى فى طريقها رغم كل محاولات التغريب والغزو الثقافى شريطة أن نكون يقظين الى الهدف الذى يتخفى وراء كتابات بعض الذين يدعون انهـم غيورون على اللغة العربية وهم بالعكس من ذلك أعداؤها وخصومها .

* * *

(١٣)
تاريـــخ الإســـلام

ان محاولة تفسير التاريخ الاســـلامى عن طريق مناهج وافدة لا يستطيع أن يحقق نتائج حقيقية فالتاريخ يفسره منهج مستمد منه والتاريخ الاسلامى فسر عن طريق منهج اسلامى لتفسير التاريخ ، أما التفسير المادى للتاريخ فانه لا يستطيع ان يستوعب حقائق تاريخ الاسلام . كذلك فان المنهج الذى يقدمه الفكر الليبرالى يعجز أيضا عن تفسير حقائق تاريخ قام على أساس منهج ربانى المصدر قد حقق نتائج مصدرها الايمان العميق بالله تبارك وتعالى واذعانا لفريضة الجهاد التى تضع قاعدة **((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله))** وقد جرت محاولة تزييف التاريخ الاسلامى عن طـــريق المستعمرين عن طريق تزييف الوقائع او اثارة الشبهات حــــول تفسيرها ايمانا من المستعمر بأن التاريخ سلاح بعيد الأثر فى خلق وعى الأمم ونهضتها وجريا وراء خطة تشويه الحضارة الاسلامية دفعا للمسلمين والعرب الى التنكر لقيمهم وأبطالهم والجرى وراء بريق التاريخ والحضـــارة الغربيين ومن هذه المراجـــع كتب فيلبى وحتى بروكلمان التى تعتبر فى بعض الجامعات كمراجع أساسية ، ومن حق النهضة الاسلامية على الباحثين اليوم تعقب هذه السموم والكشف عنها وتصحيح اخطائها لأنها تمثل عقبـــــة حقيقية امام متطلعات المسلمين فى أول القرن الخامس عشر ولا بد من أن توضع

فى الاعتبار أن القوى الغالبة والمسيطرة والطامعة فى البـــلاد الاسلامية وثرواتها تعمل على استخدام التاريخ كأحد الوسائل لدعم نفوذها وتحويل نظر المسلمين عن منبع ثر من منابع القوة والايمان بالشخصية والثقة بمجد هذه الأمة ودورها فى بناء الحضـــارة الاسلامية وفى العقود الأخيرة ظهر طابع التفسير المادى للتاريخ على أيدى الماركسيين ليزيد هذه المحاولة خطـورة ، ونجد الآن أمامنا ثلاث تيارات تواجه التاريخ الاسلامى وتحاول تسميم منابعه وتزييفه : يتمثل فى الاستشراق الغربى والاستشراق المـاركسى والاستشراق الصهيونى وكل استشراق له غايات واهداف ولكنها كلها تجمع على ضرب أمجاد المسلمين وخاصة فيما يتعلق بتـاريخ الرسول وتاريخ القرآن وتاريخ الصدر والصحابة والخلفاء .

ولا ريب أن تاريخنا الاسلامى له جوانب القـــوة وجوانب الضعف وهى لا تنفصـــل وتفسيرها واضح ، هو انه كلما اقترب المسلمون من منهج الله فى التطبيق صاحبهم النصر والتمكن وانهم كلما تركوا هذا المنهج ضربتهم الأمم « **يا أيها الذين آمنوا خـذوا حذركم** » « **وأعدوا لهـم ما استطعتم من قوة** » « **ود الذين كفروا أو تغفلون عن أسـلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحـدة** » هكذا حذر القرآن المسلمين من الانحراف عن منهج الله .

وعلينا أن ندرس تاريخنا وفق منهج اســـلامى اصيل يعترف بالوحى وبالمعجزة وبالنبوة وتباين الله للمجاهدين فى سبيله « **ان يكن منكم مائة صـابرة يغلبـوا مائتين** » وعلينا أن نعـرف أسـباب الهزائم والنكسات وأن نكشف عنها وأن نعرف أن التماسنا اسلوب الغرب فى الحرب لا يجدى نفعا فلابد من أن يجمع المسلم بين القوة المادية والقوة الروحية ولقد كان لصيحة الله أثرها الكبير فى النصر مما حفز الأكاديميات العسكرية فى الغرب الى دراسة هذه الصيحة بوصفها « سلاح كونى » .

وتاريخنا الاسلامى غنى بصفحات النصر والقوة والرحمة والعدل والأخاء الانسانى ويتميز بسرعة الحركة على سطحه وبطئها فى عمقه — كما يقول أحد الباحثين — أى انك تقراه فتجد الحوادث متدافعة متلاطمة وكلها حوادث شخصية . نزاع على السلطان أو حطام الدنيا فاذا نظرت فى العمق لترى حركة المجتمع وجدت شيئا يشبه الركود فى المجتمع نفسه يتحرك فى بطء شديد ، والقرون تمضى والمجتمع على حاله . ولقد تظهر فى الطبقات العليا روحا من الانحراف أو الاضطراب ولكن أعماق المجتمع تظل سليمة مؤمنة . أن لب التاريخ الاسلامى فى الحقيقة هو العمران وليس السلطان هو الحضارة وليس السياسة .

يقول الدكتور يوسف العش : « لقد حاول الكثيرون أن يصموا تاريخنا بكثرة الحروب والفتن والمكايد والاضطرابات . والنظرة الصحيحة تعطى البيان الواضح عن ان هذه الوصمات لا أصل لها صحيح ، وكل ما فى الأمر أن هناك تفاعلات فى المجتمع الاسلامى العربى كانت تأخذ طريقها ولا بد أن تأخذ طريقها فى ذلك المجتمع وان هذه التفاعلات سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهى تفاعلات تحدث فى كل أمة بل ان الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب ، وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من التاريخ العربى ، فهذا تاريخ فرنسا والمانيا منذ الثورة الفرنسية (وهما من أعظم الأمم التى ساهمت فى تاريخ العالم) ان تاريخهما ملىء بالحروب. حروب الثورة الفرنسية ، حروب نابليون ، حرب ١٨٧٠ ، حرب ١٩١٤ ، حرب ١٩٣٩ ، كل ذلك فى مدى لا يتجاوز قرنا ونصف القرن والضحايا التى وقعت فى هذه الحروب تتجاوز اضعافا مضاعفة ضحايا الحروب فى تاريخنا بأجمعه » .

فاذا عرفنا هذا امكن أن تكون نظرتنا فى كتب التاريخ الاسلامى

التى يقدمها الاستشراق ناصحة يقظة الى الغايات الخفية التى ترمى الى القول مثلا بأن النهضة فى العالم العربى بدات بحملة نابليون ١٧٩٨ (والحقيقة أن هذه النهضة بدات بدعوة التوحيد التى ظهرت فى الجزيرة العربية ١٧٤٠ وفى أماكن كثيرة باسم العودة الى المنابع) كذلك حاولت هذه الدراسات أن تصور حركات الاستعمار للاستيلاء على أجزاء من بلاد العرب وأفريقيا على أنها رحلات استكشافية ومن ذلك الهجوم على الدولة العثمانية التى حمت الوجود الاسلامى أربعة قرون أو الهجوم على السلطان عبد الحميد الذى عارض رغبة الصهيونية واغرائها بالاقامة فى فلسطين ، أو ما يصورونه من أن البلاد العربية عاشت تحت سلطان الفرس واليونان والرومان ، والحقيقة أن البلاد العربية قاومت كل هذه الغزوات ، وانها قبلت الاسلام لأنه حررها من هذا النفوذ .

ولقد كان من أكبر أخطائنا فى الفترة الأخيرة كتابة التاريخ عن طريق الأسلوب الوطنى الذى يعلى من شأن الاقليم ويتجاهل الروابط العربية والاسلامية أو عن طريق الأسلوب القومى الذى يتجاهل الرابطة الاسلامية التاريخية فى « الوحدة الاسلامية الجغرافية والعقائدية » وقد مرت هاتان الموجتان وجاءت بعدهما موجة الحركات السياسية والحقيقة أن التاريخ الاسلامى للامة الاسلامية متكامل جامع لا سبيل الى فصل قطر بنفسه أو عصر بنفسه ، وأن الأمة الاسلامية تجمعها عقيدة وكتاب وفكر موحد مهما اختلفت لغاتها وتناءت ديارهم فهم بمثابة القارة الوسطى كما أطلق عليهم نابليون ، ولا يزالون تجمعهم كلمة الله الى يوم البعث .

* * *

(١٤)
مرحلـــة الرشـــد الفكـــــرى

لن نستطيع ان نبدأ مرحلة « النهضة الاسلامية » التى هى ثمرة « اليقظة الاسلامية » والتى حان موعدها مع مستهل القرن الخامس عشر الهجرى الا اذا أعتمدنا حقيقة أساسية لا تغيب عن اذهاننا طرفة عين ، تلك هى التماس (القرآن الكريم) فى التعرف الى مختلف أمورنا والاذعان لقراره الحاســم الذى جاءت الســـنة المطهرة تطبيقاوشرحا له .

لقد بلغنا فى مطلع هذا القرن : مرحلة الرشد الفكرى التى تعتمد « الأصـــالة » منطلقا لها لاعادة صياغة المجتمع الاســـلامى وتغيير العرف الوافد الذى ســيطر طويلا . هذه المرحلة فى تقدير الباحثين المتفقين تتطلب دعوة المجتمع الاســـلامى الى تصـــحيح وضـــعه بالاستجابة للقانون الربانى دون الاعتمـــاد على الرخص والتـــأويلات والتبريرات ، وخاصة فى أمـــور ثلاثة : المعـــاملات الاقتصادية ، المرأة بين الأسرة والعمل والاضحاك والفنـــون التى ينشرها الاعلام .

وكما خلق الاسلام حضارة جديدة من خلال منهـــج حيـــاة ونظام مجتمع فى صـــدر الاســـلام فنحن مطالبون باقامة هـــذا المجتمع مرة اخرى وليس أشد خطرا على هذه الخطوة من الطرف الذى يتفشى اليوم فى مجتمعنا وهو ليس ترفا أصـــيلا ناتجا عن الغنى والثراء الشـــامل لمختلف طبقـــات المجتمع ــ كما يحـــدث

فى الغــرب ــ ولكنه ترف مريض يحــاول ان يحطــم فى جماعات الشــباب روح العــزيمة والقوة والارادة ، ويحــول بينهم وبين الخشونة والتماســك النفسى الذى يفرضه الاســلام من خــلال دعوته الى المرابطة فى مواجهة العــدو ويطبق شرعه الجهــاد : فريضة الله الماضية الى يوم القيامة والتى كانت المنطقة الاسلامية فى رباط الى يوم القيامة من أجل حماية بيضــة الاســلام وتبليغها للعــالمين .

ان هناك ثلاثة عوامل خطيرة تنخر فى مجتمعنا عمل التغريب على تمكينها واذاعتها :

« التفاهة » عن طريق الكتابات الخفيفة الســريعة .

« الترف » غلبة أوانى الترف وأدواته فى وقت الحاجة الى الضروريات .

« التسلية » فى غلبــة روح الفكــاهة والعبث على جميــع الأعمال الفنية .

يقصد الاضحاك والسخرية بالقيم ومهاجمة الأصــول الثابتة وتصوير الحياة فى نظر الشباب على انهــا لعب وعبث : وهى محاولة لتدمير الذوق الاسلامى ، وهدم العرف الاسلامى والقضاء على الأصــالة .

ومنها أذاعة الأساطير والقصص الخرافية .

ان أخلاقية المجتمعات هى عماد الاســلام وعروة حضــارته الوثقى ، ومحور الحياة فيه الأخلاق التى تقوم على « التقوى » ، والخوف من عقاب الله والرغبة فى ثوابه ، وقد ترددت كلمة التقوى فى القرآن تسعا وثلاثين ومائتى مرة ، ومنها أمــر صريح بالتقوى فى ثلاث وثمانين ، وتقوم التقوى على مفاهيم كثيرة أهمها حماية العــرض والكرم والشرف . ولا نهــوض لأمــة من غير خلق فاذا

استطاعت الأمة أن تتشبع بروح الجهـــاد والتضحية وكبح جماح النفوس والشهوات امكنها أن تنجح . أما اذا استسلمت لمغريات الشهوة والفساد والانحراف والتحلل فان القانون الالهى فى قيام الأمم والحضارة وسقوطها لا يختلف :

((واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيهـــا فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)) .

ولقد جاءت الهـــزيمة فى الغرب من الانحلال ودمـــرت روح الملذات واللهو ما شيدته روح التضحية .

والاســـلام يدفع الانســـان الى الترقى : من البشرية الى الربانية ومن الذاتيـــة الى الخـــيرية ، ومن النفس الأمـــارة الى النفس اللوامة .

ويبلغ المسلم مرتبة الايمان باتخاذ طريق الجهـــاد الأكبر : جهاد النفس وحملها على الحق فى كل لحظة من لحظات الحيـــاة مهما شق هذا الحق على النفس ومهما أهمله الناس ونبذوه .

ولقد أخطأ أصـــحاب النظريات المادية حين نقلوا المسئولية من الانســـان الى المجتمع وما يزال الانســـان مسئولا فى مفهومه الاسلام عن عمله والاصلاح يبدأ منه وكل محاسب على قدر عمله ، فالانسان مسئول مسئولية فردية ، وله التزام أخلاقى فى الحيـــاة يحاسب عليـــه فى نفسه واسرته واهله ، ولن يبدأ بنـــاء المجتمع الاسلامى الربانى الا من بناء الفرد لأسرته وتربيتهم على أصـــول الاسلام ومفاهيمه الحقة . كذلك فان فكرة قوامه الرجل على المرأة أساس ودعامة حقيقة فى بناء الأسرة والمجتمع ، وطابع الاســـلام الواضح هو التمييز الصريح بين شخصية الرجل وشخصية المرأة والحيلولة دون امتزاجها أو تحول احداهما الى الأخرى ، وعلى المرأة أن تعرف ما هو المثل الأعلى الذى يجبأن يكون عليه الرجل الذى يكون أهلا للاقتران بها .

ان هناك افكارا مسمومة دخلت على المسلمين من شأنها ان تدمر الأسرة وهى أفكار الخمر واللذة المحرمة وعبادة الجمال والاستغراق فى الفنون المرذولة والصور العارية المعلقة فوق السرر .

ان هذه المفاهيم الضالة المضلة التى تطرحها المسرحيات وأفلام السينما والمسلسلات فى شأن العلاقة بين الرجل والمرأة ، هى مفهومات يهودية تغريبية زائفة يجب أن نعرفها وندفعها حتى لا تلصق بعقليات فتياتنا وشبابنا فيظنون انها الحقيقة او انها الفهم الصحيح فى هذه الأمور .

لابد أن تقوم دعوة الى الالتزام بالأخلاق الاسلامية ومقاومة التبرج والخروج على تقاليد الاسلام وتحريم جميع أنواع المسكرات والمغيبات والعودة الى منابع الاسلام الأولى فى بناء المجتمع الاسلامى الجديد .

* * *

(١٥)
محاذير الترجمة واللغات الأجنبية

علت الصيحة منذ وقت طويل الى تأصيل الاتصال بالفكر الأجنبى :

هناك طريقان لهذا الاتصال يحتاجان الى تخطيط شديد .

الطريق الأول : هو طريق الترجمة وتعلم اللغات الأجنبية .

وهذا الطريق محفوف بالأشواك فان اختيار الكتب التى نحتاج الى ترجمتها يتطلب دقة وأمانة ذلك ان هذا الفكر الذى يترجم هو جزء من فكر أمة أخرى يختلف عنا ، فاذا كنا فى حاجة الى الانتفاع به فعلينا أن نعرف ظروف كتابه وعصره وميزة كاتبه وهدف كتابته ، وعلينا أن نوضح وجهة نظر الاسلام فى مادته وموضوعه واسلوب عرضه ، ذلك أن أى كتاب يترجم فهو يحمل معه تحديات مجتمع آخر ، وظروف أمة أخرى ، مما يختلف مع أمتنا ومجتمعنا ، فلابد من اضاءة الطريق أمام قارئه فى أمانة ليعرف الفوارق والمتباينات بين ما يقدمه وما يحتاج اليه .

كذلك فان تعلم اللغات الأجنبية يتطلب ايمانا كاملا باللغة العربية التى يجب أن تكون هى الوعاء الذى تصب فيه اللغة الأخرى ويجب أن يكون فكر هذه اللغة مادة لخدمة اللغة العربية والفكر الاسلامى ولا حاجة الى القول بأن المسلم يحمل ثقافتين حين يعلم لغتين او ثلاث ثقافات اذا عرف لغات ثلاث فنحن لا نريده يعرف الا لغة واحدة ثم تكون الى لغة أخرى وإلى ثقافة أخرى

فى خدمة القرآن والفصحى وميزة العربية انهـا وعاء القـرآن ومرآة الاسلام وهو ما لـم تحرزه لغة اخرى من اللغـات الحية الآن ، ولذلك فان كل ثقافة أو فكر يصل الينا من اللغات الأخرى كالتبرير فى الفقه الفرنسى او الفلسفة الانجليزية أو العلم التجريبى فذلك كله يجب أن يكون مادة خاما فى خدمة الاسلام .

ثانيا : هنـاك مخادير البعثات المرسـلة من عالم الاسـلام الى الغرب فان الوف الطلاب فى الدراسات العليا الذين يدفعـون الى معاهد أوربا كل عام ، هؤلاء يذهبون دون حضانة وافيـة وحمـاية واقية من خطر الانصـهار فى فكر الغـرب أو الانبهـار بحضارة الغرب ، فهم يذوبون هناك فى بوتقة كبرى فلا يعودون لغيرها ، انهم عندما يعودون — الا قليلا ممن رحم الله — يحملون لواء الثقافة الغربية ، ومن شأن ذلك أن يقلل من الحفاظ على كياننا الأصيل (الدينى والثقافى) الذى يتعرض لأخطار وتحديات جـد خطيرة .

تقول الكاتبة المسلمة مريم جميلة : انهـم يتكلمون لغة العدو ويرتدون زى العدو ويقلدونه فى الكلام والمشية ويهتم العدو بتربيتهم وتدريبهم وتعليمهم ، ومواد الدراسـة التى تهيىء لهـم معـرفة وموجهة الى احداث تطور فى عقلياتهم (فكرة وتصـورا) معاكسا لمجتمعهم السابق ووطنهم ، لكى ينظروا اليه برؤية العدو وهـم قد قبلوا مسبقا مقياسـه للخير والشر ، فى مناهـج تخلق مركب النقص فى آذانهم والشعور بالتفوق فيما يتصل بالغرب .

وفى خلال اقامتهم فى بلاد الغربة تستمر فترة غسل الذهن وشحنه بأفكار جديدة وتصور جديد للحياة ، لا تترك الطلاب على راحتهـم ليتعلموا النظريات والقيم كدروس ، وانما تفرض هـذه القيم عليهم فتصبح جزءا من أفكارهم ومعتقداتهم . وهكذا تنقطع سائر الصلات القائمة بين الطلبة وبين القيم والمثل والأفكار التى

توارثوها من ماضيهم الثقافى والاجتماعى فــلا يتذكرون الا تاريخ بلاد العدو ويعتبرون ابطال العدو ابطالهم وتقول مريم جميلة وهى الخبيرة بما يتم فى بلاد الغــرب من محــاولات الاســتقطاب لأبناء المسلمين : « يراعى العدو فى اعداد مناهج الدراسة ونظام التربية فى بلاده للوافدين أن يتخــرج من مدارسها رجــال تتغير أذهانهم وتنقطع صلتهم عن تراثهم وحضــارتهم وبلادهم كليــا فيصبحون عملاء العدو ويخدمون مصالحه ويؤيدون المهام التى تسند اليهــم والمسئوليات التى تلقى على عواتقهم » .

***

واخطر مما تقول السيدة مريم جميلة : ما نذهب اليــه حين نرسل ابنائنا الى اوربا وأمريكا ليتعلموا اللغة العربية ، الاسلام فى السربون وهــارفارد وبريســتون التى تتمركز منهــا عتاولة المستشرقين والمبشرين اللابسين ثياب العــلم ليحطموا فى قلوب ابنائنا روح الايمان وليسيطروا على افئدتهم وعقولهم تحت اغــراء تقليد الغالب للمغلوب فيكونوا موجهين لنا فى الشريعة الاســلامية واللغة العربية فنأخذ ديننا وثقافتنا من أفواه أعدائنا وهناك يعلمونهم كثيرا من الســـموم ، فاذا كان من العبـــادلة : قالوا له لمــاذا تكون عبدا : اترك كلمة عبد ، قل منعم ، كريم ، عظيم ، بدلا من عبد الكريم عبد العظيم عبد المنعم ومن ثم تنشأ عندهم ظاهرة غرور على الحق وتكبر على أمر الله ويصبحون أداة طيعة للذين صنعوهم فى بلادهم ، يحملون لواء نزعات التغريب وكراهية القرآن والاسلام واللغــة العوبية وتاريخ الاســلام وينظرون اليهــا فى ســخرية وانتقاص ، وتمتلأ نفوسهم بالزهو ازاء الغرب وبطولاته وحضارته ويعارضون طريقنا الأصيل فى العودة الى مناهل الاسلام ومنابعه الأصيلة لنستمد منها اسلوب عيشنا الحقيقى بعد أن فسدت تجربة الاقتباس والتبعية والانتماء الى الوافد الغريب بكل مافيه من غربة وتمزق وشر وتلفيق .

(١٦)
الغـــرب يتطلـــع إلى الإســـلام

ان الغرب الآن يتطلع الى الاســـلام : فى خطـــة البحث عن مخـــرج من أزمته وبالتطلع الى منهـــج جديد للحيـــاة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وذلك بعد أن فشلت الديمقراطية الغربية والاشتراكية والمادية . انهم يبحثون عن دين وخالق وبعث .

ولقـــد جربوا بعد الايدلوجية : الماركسية والديمقراطية ، دعوات مختلفة تدور كلها فى اطار الفكر المادى ، ولما اتجهوا الى الفكر الروحى لم تقنعهم البوذية أو الهندوكية .

اذن فلابد من البحث فى الاسلام . (وهذا هـــو ما يدعـــو الغربيين الى محاولة الحصول على تقارير من بعـــض العلمـــاء المسلمين تقول بأن المسيحية والاســـلام لا خلاف جوهرى بينهمـــا وان دين الله واحد) .

ولكن الحقيقة لا تلبث ان تظهر وتنكشف من ان الاســـلام يقدم للبشرية التوحيد الخاص ، وان هنـــاك حقائق كثيرة تتكشف اليوم على ايدى الباحثين المنصفين قوامها .

اولا : الاعتراف بفضل الحضارة الاسلامية ودورها الواضح فى تقديم المنهج العلمى التجريبى .

ثانيا : الاعتراف بأن الكتب المقدسة الغربية هى كتب بشرية وأن بها تناقضـــات وانها ليست الرســـائل المنزلة على الرســـل (وقد كشف هذا كثيرون فى مقدمتهم الدكتور موريس بوكاى) .

ولن تجدى المحاولات التى تقوم بها الراسمالية الغربية فى

حجب حقائق الاسلام عن الغرب ، فان الفكر الغربى نفسه قد بدأ ينتقض نفسه وقد قام أنصاره يشككون اليـــوم فى آراء ونظريات لم تكن فى الماضى موضعا للشك وكان يظن انها خالدة والمتأثرون بالفكر الغـــربى يمتحنون الاســـلام متخذين المعايير الغربية لتفهم الحق والحقيقة ولكن أساليبهم فى تفهم الاسلام لا تحقق لهـــم قدرة وافية على فهم جوهر الاسلام .

ولذلك فان عددا من علماء الاسلام يحاولون عقـــد ندوات مختلفة لتوضيح هذه الجوانب وقد تصدى لذلك عدد من الباحثين فى مقدمتهم الدكتور محمـــد المبارك الذى عقـــد فى باريس عـــدة اجتماعات من أجل الكشف عن جوهر الاسلام .

وقد كشف الباحثون ان الاســـلام هو فى وقت واحـــد دين ونظام اجتماعى ، يقوم على أساس العقيدة والشريعة والأخلاق ، وان ليس فى الاســـلام طبقة من رجـــال الدين لتفسير الأسرار وان الاســـلام دين قائم بذاته لا يشبه الأديان الأخـــرى قائم على (الثوابت والمتغيرات) الثوابت هى الوحى والعـــدل — المـــادة والروح فهو يجمع بين الالهى والبشرى . ويمتاز الاســـلام بالنظرة الشمولية فى المـــاضى والحـــاضر والمستقبل . فضلا عن النظرة الانســـانية من حيث ان الاســـلام يخاطب الانســـان والنـــاس جميـــعا .

كذلك فان هناك جوانب لابد من الاهتمام بها وكشف حقائقها منهـــا عرض ســـيرة الرســـول صلى الله عليه وســـلم فى أدق تفاصيلها ، بل ان وجـــود هذه التفاصيل الدقيقة المثبتة فى كتب السنة فانهـــا تعطى الثقـــة التامة فى دراســـة حياة الرســـول بينما لا يوجد مثل هذا بالنسبة للأديان الأخرى .

أما القرآن فانه هو النص الموثق الذى لم يحدث خلال خمسة عشر قرنا ان أصيب بأى اضطراب هو النص الموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فسلامة النص القرآنى عامل هام

فى تقويم الاسلام : ان القرآن الذى نزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) هو ما نقرأه اليوم بلا نقص ولا تعديل ولا تحريف والقرآن الكريم لا يخضع للتبويب والتصنيف الذى يتغير بتغير العصور ففنون القرآن تتداخل ، فهو كتاب للحياة والعبادة والتشريع .

وقد قدم القرآن سير المجتمعات والأمم والحضارات وقدم منهج العلم :

(قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) وقد قدم منهج النقد **(قل هاتوا برهانكم)** ويقدم الاسلام مفهوم تكامل شخصية المسلم : اخلاقا وعبادة وشريعة .

وليس لجانب أن يستعلى على باقى الجوانب .

هذه الظاهرة التى تألقت اليوم فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى كانت « نبتة » صغيرة منذ وقت فى جوانب أوربا ، منذ كتب كارليل عن (النبى) وكتب جوستاف لوبون عن (حضارة العرب) وألقى برنارد شو تصريحاته المدوية عن حاجة العالم الى الاسلام . ومنذ كشف رجال القانون فى الغرب عن عظمة الشريعة الاسلامية وكتب كثيرون عن دور المسلمين فى بناء التجريب . كل هذا من شأنه أن يكشف زيف دعوات الاستشراق والتغريب فى انتقاص المنهج الاسلامى واثارة الشبهات حوله .

لقد بدا الاسلام يهز العالم من جديد ويثبت قدرته على الصلاحية لقيادة البشرية وحاجة البشرية اليه بعد تضاؤل النظرة الى النظامين الراسمالى والماركسى وخاصة فى عالم الاسلام بعد أن دعا الغربيون الى نظام اقتصادى جديد . وعلى المسلمين اليوم أن ينتقلوا الى مرحلة أساسية هى تطبيق الاسلام فى مجتمعهم بما يمكنهم من تقديم هذا النموذج مطبقا الى العالم كله .

* * *

(١٧)
أفلنواجـه سمـوم الاستشـراق

ما يزال « الاستشراق » يحـاول اخفـاء أسـلوبه لخداع المسلمين عن غاياته ويحـاول المستشرقون ان يدعوا « مهمـة » جديدة مختلفـة عن « المهمـة » الحقيقية وذلك بعد أن فضحت مخططاتهم وكشفت أهدافهم ، ومنـذ سنوات أعلن المستشرقون نهـاية مؤسستهم والبدء فى عمل جديد تحت أسـم عالمية الفكر أو ما يشـبه ذلك ، ومن قبل كان هناك رجال أقرآم يقفون أمـام الاستشراق ثم انقرض هـذا النوع وجـاء عهد أصبح المفكرون البارزون من تلاميذ المستشرقين فى دعـواهم ، ولكن الاستشراق غير طرائقه وأساليبه ، وأخذ يعمل من خلال معاهد التعليم ومناهج الدراسات وعن طريق الثقافة والصحافة .

ومن الواضح ان فى عالم الغرب اليوم تيار واضح الهـوية فى التعرف على الاسـلام والاعتراف بدوره فى الحضـارة والعلم والقانون والتجريب ، ولكن المستشرقين واتباعهم ما زالوا يحجبون هذا التيار ويقاومونه حتى لا يكون له كيان واضح .

فهم من أجل التركيز على أغراضهم لا يترجمون من المؤلفات العـربية الا ما يرضى أهـواء الاستشراق ، ففى الأدب لا تترجم الا القصص التى تصور المجتمع الاسـلامى بصورة منحرفة ، واذا اهتموا ببعض الدراسات التاريخية قصدوا إلى ما يصور تبعية الفكر الاسـلامى للفكر اليونانى ، وهم يوالون المعتزلة وفكر التصوف الفلسفى لأنهم يرون ان كلا الفكرين متأثر بالفكر اليونانى أو الفكر

الغربى واذا اهتموا بالحفريات الاثرية عملوا على اعلاء شــأن الحفــريات الخاصة بالفراعنــة والبابلين او الفينيقيين أو الآثار التى بناها الصليبيون ، واذا درسوا الحضارة الاســلامية حاولوا ابراز اثر الحضــارة الفارسية واليونانية واذا عرضــوا لوقائع التاريخ تناولوها من وجهة نظرهم فهم لهم موقفهم من الحــروب الصــليبية ومن صــلاح الدين وبيبرس وقطز ، فهــم يقللون من شأن بطولاتهم ومن شأن البطولات الاسلامية على وجــه العموم فى صدر الاسلام ويقولون ان الأمــم الفارسية والرومانيــة كانت قد ضعفت وهذا سر نصر الاسلام ويرون أن الفتوح الاســلامية كانت من أجل الغنيمة .

يقول الأستاذ محمد ابراهيم الشريف فى رسالته عن اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن بأن المستشرقين يرون ان مفهوم التجديد التفسيرى عندهم هو التقصير والتطوير بأبعاده عن أصله أو بهدمه من اساسه ، وعليه فلم يستحق عندهم لقب التجديد الا محاولات الهدم والانحراف عن الحق ، اما ما ســوى هذا من أصيل التجديد المرتبط بالكتاب والسنة فهــو فى نظرهم رجعية وســبب لتخلف المسلمين لارتباطه بالماضى .

وقد كشف الباحث تهافت دعاوى جولد سيهر فى كتــاب : (مذاهب التفسير الاسلامى) وتعسفه فى اثبات المذهبية للمجددين فى تفسير القرآن كما كشف أخطاء (جوميه) الفرنسى فى دراسة تفسيرى المنــار والجواهر وج بالجــون الانجليزى فى دراسة عن التفسير القرآنى فى العصر الحديث .

ويتمثل الاستشراق فى اخطائه أمرين :

١ ــ مضاهاة الاسلام على المسيحية من حيث الالوهية والنبوة وكتابات الحــواريين ومحــاولة تطبيق ذلك على القــرآن والرســول .

٢ ــ التفسير المادى الذى يسيطر على تفكير جميع المستشرقين الغربيين من إنكار الوحى والنبوة ورسالات السماء .

٣ ــ الخطأ فى تقدير وحدة الأديان من حيث ان مصدرها الأساسى هى من عند الله ولكن تفسيرات رؤساء الأديان حرمتها ما عدا الاسلام فيردون ان ما فى الاسلام مشابها لما فى الأديان هو نقل من هذه الأديان .

وفى عشرات من الكتب التى وصفها المستشرقون نجد هذا الخلط واضحا ومصدره تعصب للغرب وللمسيحية من ناحية وعجز عن استيعاب الاسلام بمقاييسه الصحيحة .

ففى كتاب حياة الرسول لمؤلفه (ر.ف.بودلى) ترجمة السحار ومحمد فرج ، تجد التشكيك فى أن القرآن من عند الله ، وفيه القول بأن معظم ما عند الرسول عرفه من التوراة والانجيل من محاوراته مع ورقة بن نوفل وهو باطل والزعم بأن الراهب بحيرا أثر فيه خلال طفولته والادعاء بأن للرسول رحلات الى الشام مع انها رحلة واحدة دون العاشرة ورحلة بعد العشرين ،

وهناك الاصرار على انتقاص لغة القرآن كما نجد فى كتاب هارمن « عقائد الاسلام » ومن ذا الذى يستطيع أن يقول ان لغة القرآن لا تتميز عن الأدب العادى وما زال القرآن قائما بالتحدى ولم يستطع أحد أن يأتى بمثله . وهناك التشكيك فى بعض سور القرآن عن طريق روايات باطلة ، ولغة القرآن لها ــ كما يقول دكتور محمود حمدى زقزوق ــ خصوصية التفرد وقد عجزت العرب عن محاكاة لغة القرآن وما زال التحدى قائما وسيظل قائما إلى أن تقوم الساعة **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** .

هذا وما زال ابنائنا يسافرون الى الغرب على منح دراسية موجهة من هيئات التبشير او هيئات الاستشراق التى تختضنهم وتفسد مفاهيمهم وتجعل منهم اتباعا للفكر الغربى الوافد وقد تدهش عند ما ترى بعض هؤلاء يدافعون عن المستشرقين ويرون انهم بذلوا جهوداً عظيمة فى سبيل دراسة الفن والتاريخ والأدب العربى ، ونحن نرى انهم حاولوا .

١ — احياء التراث الوثنى الهلينى الشعوبى باحياء شخصيات امثال الحلاج والسهر وردى وابن عربى وابن سبعين .

٢ — احياء التراث الاباحى باحياء ألف ليلة وابى نواس وبشار والأدب الماجن القديم المثبوت فى « الأغانى » وغيرها .

٣ — احياء الفلسفات المعارضة لمفهوم الاسلام (والممثلة فى كتابات ابن سيناء والفارابى وغيرهم .

٤ — اثارة قضايا للتشكيك فى اهمية السنة والحديث النبوى ، ودعاوى الحلول والاتحاد ، واعجاز القرآن ، والمغزلة ، وغيرها من فكر وافد ممزج بالفكر اليونانى مما استصفى الفكر الاسلامى خير ما فيه انت اسم « مذهب أهل السنة والجماعة » .

واليوم نجد الاستشراق يحارب مناهج الدراسة فى الجامعات الاسلامية كالأزهر ، ويحارب اعادة تطبيق الشريعة الاسلامية ، والغاء الربا عن طريق اتباع يحاولون تبرير واقع الأمة الاسلامية المنحرف .

* * *

(١٨)
مفهـوم الإســلام للفـن والجمــال

«الفن والجمال» قضية مثارة فى هذه الأيام وحقيق بالمسلمين أن يلتمسوا مفهوم الاسلام فيها حتى يكونوا على بينة من ذلك التيار الزائف من خلال المسرح والموسيقى والغناء ولقد حرص الاســلام أن يكون الفــن عاملا من عوامــل ابراز قيم الحق والاســتقامة والخير . واخلاقية الفن مقدمة على جماليته والفن وسيلة لا هدف اما وضــع الفن فى موقف الصــدارة على النحو الذى نراه فهــو لا ينسجم مع تعاليم الاسلام .

ان اهمية العمل الفنى وإنما تتركز فى المضمون والروح والهدف وفى القيم التى تحملهــا وتدافع عنهــا والفن من وجهــة نظــر الاســلام ليس مستقلا ولا كامــلا بذاته ولكنه تابع لحيــاة البشر وليس للفن معنى اذا لم يرتبط بالحيــاة والانسان والمجتمع .

فهدف الفن فى الاسلام كما يقول الأستاذ محمد شمس الدين صدقى يجب أن يكون نقل أو ايصال اسمى وافضل القيم والأفكار والمشاعر الى الآخرين بأســلوب جميل ومؤثر بحيث يوفر عنصر المتعة اضــافة الى التأثير فى سلوكهم وارشــادهم الى الصراط المســتقيم وتعتبر الموسيقى فى نظر الاســلام عمــلا مكروها اذا أثارت الشهوة والمشاعر الحيوانية أو شــغلت عن ذكر الله ، وفى الرســم والنحت يقول رســول الله صلى « اشــد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون لخلق الله » وقد حدد الاســلام الرسم

فى النقوش المختلفة كما استعمل الآجر المطلى بالألوان المختلفة لتزيين وتجميل الحيطان والسقوف .

وقد وجد المسلمون فى العمارة (وهى شكل من أشكال الفن) مجالا جيدا للتعبير عن ذوقهم الجمالى بحرية ، كالمساجد والقصور والقلاع والمدارس وليس تحريم رسم الأشكال الحسية محددا بالعصر الاسلامى الأول خوف العودة الى عبادة الأصنام ولكنها قضية أساسية أكثر عمقا :

« ان الشكل الفنى لا ينفصل عن المضمون ولا ينسجم تصوير ونحت الأجسام الحية وابرازها مع عقيدة التوحيد التى تقول ان الله ليس كمثله شئ وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وكل ما عداه فمن خلقه ومصيره الفناء » .

ومن الخطأ القول بالتجسيد لتخليد ذكرى عزيز أو عظيم .

يقول اقبال : ان أسمى الفنون هو الفن الذى يوقظ فينا الارادة النائمة ويستفزنا لمواجهة اختبارات الحياة برجولة .

ان الشكل الفنى لدى الفنان المسلم يجب ان ينطلق من عقيدته التوحيدية السامية ويجب ان يعبر عنها .

والفنان المسلم لا يرسم ما يفنى ، ولا يحسن الصور الطبيعية يقول جان بول رو ان الاسلام يرمى الى تجاوز الظواهر المؤقتة ، والى السمو على المادة أو على الأقل الى عدم ترك نفسه يخضع لها .

وقد عدل الفنان المسلم عن مضاهاة الطبيعة استجابة لدينه وانصرف عن تقليدها فى تحريم مضاهاة خلق الله . والاسلام يكره الرمز التجسيدى الذى تمثله الصور والتماثيل وهدف الاسلام هو العودة بالانسان الى نبع النقاء والفطرة وتحرير الانسان من كل الترسبات الجاهلية كذلك فان سماع الموسيقى الدائم يجعل النفس

البشرية فى حالة ارتخاء دائم تتقوى بها نوازع الهوى والاخلاد الى الراحة وكراهية التكاليف والمشقات وهذا خطر على الأمة من ناحية شـــعورها بواجبها واستعدادها للتضـــحية واستغراق المسلم فى الموسيقى والانغام واقباله الدائم عليها يجعله فى موضـــع عملى ينصرف عن الآخرة وتظل مشاعره مخترة . ولقد بين الاسلام كيف أن وقت المسلم اغلى وأثمن من أن ينفق فى هذه التفاهات لأن الزمن هو الحياة وهو اغلى ما فى الحياة وكل شىء له عوض الا العمر .

وعلى الانسان أن يسارع بان يشغل وقته بالطاعات والعمل النافع الصالح حتى لا يفاجئه الموت وهو غافل .

بل ان ادمان الانشغال بالمسرح والمسلسلات وغيرها من شأنه أن يقلل من شأن القيم الاسلامية الحاسمة فى حياة الافراد والأمم والمجتمعات ، ومن شأنه أن يفرض مفاهيم مسمومة عن العلاقات بين المرأة والرجل كلها خارجة عن المفهوم الاسلامى الأصيل ولاريب أن الاسراف فى هذه الوجهة من شأنه أن يدمر فى نفوس النـــاس الاخلاقيات والقدرة على الحسم وعوامل الصـــلابة فى الذاتية ، ويؤدى الى الاستسلام لمظاهر الجنس والاباحية والانحراف والتحلل، والمسرح والغناء كالرســـم والنحت يحمل خطيئة اعطاء الصـــورة البشرية بعداً أكثر تألقا من حقيقتها الطبيعية ، ولا ريب أن المبالغة فى عرض الصورة الجميلة وفى الشعر والموسيقى والغناء من شأنه أن يقلل من صورة الحياة الحقيقية ، ويصرف النفس عن واقـــع الحياة الطبيعى الذى يجب أن يحياه الانسان متابعا لكل أحداثه دون أن يتعاطى هذا المخدر الذى يصرفه عن مواجهة الحياة .

ولا ريب أن الاسلام يرفض الفن الغربى القائم على عبـــادة الجسد وتقديس المتعة واعلاء الجمال على الخلق وتضحية الاخلاق والالتزام الأخلاقى ، وللفن الاسلامى طابعه وذاتيته وظروفه ، وهو لا يقاس بمقياس الفن الغربى المستمد من وثنية اليونان واباحية الرومان .

(١٩)
الفقة الإسلامى معجزة الإسلام الكبرى

ما يزال الفقه الاسلامى هو مفخرة الاسلام الكبرى واعجوبته النادرة : فهو تراث مجيد عزيز صالح يحتفظ بجودته على مـــدى اربعة عشر قرنا فيما استخلصه الفقهاء ما يزال يهز دوائر العلم على نحو نادر فقد حمل الفقهاء لواء الجهاد فى سبيل بيان « شريعـــة الله » على مدى العصور ولقد أعجب هذا الفقه علماء الغرب عندما نقل اليهم وهز نفوسهم وحصل من أعلام القانون على مزيد من التقدير ومع ذلك فما زال أهلونا معرضون عن هذا الكنز العظيم.

لقد كشفت الأبحاث الحديثة عن جوانب كثيرة من الفقـــــه الاسلامى استطاعت أن تمد القوانين الاجنبية بمادة خصبة **منهــا** ما توصل اليه الامام « ابن القيم » فيما اسماه نظرية المنفعة فى اعمـــال الفضـــولى ، ومبدأ حرية التعاقد ، ومبـــدأ تقرير قيمـــة الشهادات وعدم تجزئة الاقرار وفسخ عقود الديون المضرة ومبدأ تغير الأحكام بتغير الزمان والأمكنة والاحوال وكلها قوانين جديدة عرفها الغرب فى السنوات المائة الأخيرة بينما كشف عنها ابن القيم قبل ذلك بخمسمائة عام .

كما توصل الامام « الشاطبى » الى نظرية تسمى فى القوانين الحديثة نظرية التعسف فى اســـتعمال الحقوق فأثبت بعد تحليـــل وتفصيل دقيقين أنه يجب منع الفعل المأذون به شرعا اذا لم يقصد منه فاعله الا الاضرار بالغير .

ولقد كانت هناك دعوى عريضة باطلة آثارها دعاة التغريب

وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين من ان الاسلام لم يقدم اصولا عامة للفكر السياسى وأن كل ما كان عند المسلمين هو ما اخذوه من القانون الرومانى ولكن الأبحاث الرصينة التى قدمها أمثال الدكتور ضياء الدين الريس كشفت عن زيف هذه الدعوى وأن الاسـلام كلن له منهج كامل جامع فى مفاهيم السياسة والحكم وسياسة الدولة وأن هـذه النظرات وردت فى الفقه الاسـلامى وابتدعها الفقهاء المسلمون أساسا وان الفقهاء الأوربيين جاءوا من بعد مرددين لها ، فالماوردى والشافعى والغزالى والجويتى وابن حزم قد اشتركوا فى رسم خيوط هذه النظرية السياسية فى مختلف مجـالات الامامة والولاية والحكم والعقد السياسى ، وهكذا ومن خلال :

الأحكام السلطانية للماوردى

احياء علوم الدين للغزالى (ونصيحة الملوك)

السياسة الشرعية لابن يتمية

اعلام الموقعين لابن الجوزيه

مقدمة ابن خلدون

مقدمة كتاب الخراج لأبى يوسف

نجـد منهج الفكر الدسـتورى الاسـلامى كاملا شاملا على أعظم قدر من الشمول والتكامل ومن خـلال هذا الفقه تتكشف وحرص على التوازن فى الحقوق بين الفرد والجماعة (منع الاحتكار
وحرص على التوازن بين الحقوقبين الفرد والجماعة (منع الاحتكار
فى التجارة ، موضوعية احكامه ، تجردها من كل عصبية أو عاطفة خاصـة سوى فكرة العدل والحق المطلق ومرونة مصـادره واصوله) .

وقد أعطى هذا الشريعة الاسلامية صـفة الخلود وقابلية

الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية تبعا لمصلحة الأمة في مختلف مراحل نموها وعلى أساس المحافظة على أصالتها وروحها .

وقد اقرت المجامع القانونية التى عقدت فى الغرب مجموعة حقائق :

أولا : ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة تشريعية حقوقية لا يمارى فيها .

ثانيا : ان اختلاف المذاهب الفقهية تنطوى على ثروة كبيرة من المفاهيم والمعلومات والأصول الحقوقية ألتى تتيح للفقه الاسلامى أن يستجيب لمطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

ولقد أصيب العالم الاسلامى فى فترة النفوذ الأجنبى بما حطم ارادته وفرض عليه القانون الوضعى وقد كشفت التجربة عن اخطار وفساد واضطراب شديد، ووجد المسلمون انفسهم فى حاجة شديدة الى العودة الى الاصالة ، العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية التى تتفوق على القوانين الوضعية تفوقا عظيما فى المسائل الجنائية عامة ، وان القسم الجنائى صالح كل الصلاحية للتطبيق فى عصرنا الحالى وفى المستقبل كما كان صالحا فى الماضى وان رجال القانون يرجعون للشريعة مجبرين فى قليل من المواضيع المدنية لأن بعض نصوص القانون المدنى التى تحكم المواضيع أخذت من الشريعة الاسلامية وانه مر على الشريعة الاسلامية أربع عشر قرنا تغيرت عليها الأوضاع أكثر من مرة وتطورت الأفكار والآراء تطورا كبيرا ، أما الشريعة الاسلامية لم تقبل التغيير والتبديل ، وظلت قواعدها ونصوصها اسمى من مستوى الجماعات واكفل بتنظيمها وسد حاجاتها وأقرب الى طباعها وأحفظ لأمنها واطمئنانها بينما تغيرت قواعد القانون الوضعى ونصوصه اكثر من مرة لتلائم

الحالات الجديدة وظروفها، بحيث انقطعت العلاقةبين الجديد والقديم وهذه شهادة رائعة للشريعة الاسلامية، وليس أروعمنها الا شهادة النصوص التشريعية التى جاءت من يوم نزولها وقد بلغت هـذه النصـوص التشريعيـة من السـمو والعمـوم والمرونة كل مبلغ فالشورى التى تحاول المذاهب الحديثة تصورها جاء بها الاسلام قبل أربع عشر قرنا كمبدأ ، والطلاق اباحته الشريعة الاسلامية ، انقاذا للحياة الزوجية متى اضطربت ، والخمر حرمتها الشريعـة ولم يتمكن العـلم الا فى القريب من ان يعرف مدى فسـادها ، والشريعة الاسلاميـة هى التى قررت كتابة (الدين) فى القرن السابع الميلادى ، والدول بدأت ذلك فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، وهكذا ما تزال الشريعة الاسلامية بعد اربع عشر قرنا رائدة للبشرية سابقة الى تقـديم البر والخير والرحمـة والاخاء البشرى .

* * *

(٢٠)
تكامل الإسلام ازاء العقلانية والوجدانية

ليس الخطر هو التعرف على دور العقل فى الحياة فان الدعوة الى العقل عرفها المسلمون صادرة من القرآن نفسه فهو مصـــدر التكليف . ولكن الخطر هو المغالاة فى الدعوة الى العقلانية ومحاولة فرضـــها أسلوبا واحدا للحياة والتفكـير بحيث تنكر المعرفـــة كل الأساليب والوسائل الأخرى : ذلك لأن نظرة الاسلام نظرة جامعة : بين العقل والوجـــدان ، اما اندفاع الغــرب فى العصر الى التميز للعقلانية فان ذلك انما جاء كرد فعل عن مرحلة سابقة كان الغرب فيها قد اشتط فى التعامل مع الحدس والعاطفة والرهبانية وقـــد جاءت موجة العقلانية نتيجة لظهور الكشوف الخاصـــة بالقوانين الطبيعية ولكنها مع الأسف أصبحت منطلقا للنظريات المادية ، ولكن الاسلام يؤمن بالتوازن بين الروح والمادة وبين الحس والعقـــل وقد عرف المسلمون من قبل مفاهيم الحس والعقل والتجربة ولكنهم لم يذهبوا مذهب الغرب فى اغلاء العلم او تقديس العقل .

ان مفهوم عقلانية المعرفة يدعو الى التحرر من التعصب ومن التقليد ومن الوثنية والخرافة ولكنه لا يدعو لانكار جوانب أخـــرى من المعنويات والروحية وعالم الغيب ومفهـــوم ألوحى ويجب أن لا تحجب الوجدان والعاطفـــة والروح ذلك الجـــانب الأساسى فى الانسان وعلى الوجدان أن يتحرك فى اطار الوحى والعقـــل معا .

والعقل قادر على العطاء فى المجالات العلمية اذا تحرك فى ضوء من نور الوحى ومن حق العقل ان يجتهد ما شاء الاجتهـــاد ، فيما

يعرض له من أمور تحتاج الى العقل غير انه ليس من قدرته ولا من حقه ان يستقل فى حركته تلك وانما عليه ان يهتدى فيها بهدى الله تبارك وتعـــالى .

اما العقل فانه لن يهتدى الى الحق الا بالشرع ، والشرع لايبين الا بالعقل . يقول الامام ابن القيم : ليس معنى هذا أن نحتكم الى العقـــل المجرد عن هداية الشرع فان العقـــل قد تحجبه الأهـــواء والشهوات والأمراض والاغراض النفسية ، فلا يستطيع العقـــل وحـــده التعرف على المصلحة بل انه فى حاجة الى ارشـــاد الشرع ودوره : قرآنا كريما وسنة نبوية . ويقول الامام الغزالى : العقل كالبصر ، والشرع كالشعاع ولن يغنى البصر . ما لم يكن شعاع من زجاج ولن يغنى الشعاع ما لم يكن البصر . العقل كالسراج والشرع كالزيت الذى يمده فما لم يكن الزيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضىء الزيت . الشرع عقل من الخارج والعقل شرع من الداخـــل . وهما متعاضدان بل متحدان . ولكون الشرع عقـــلا من الخارج سلب الله اسم العقل عن الكافر من غير موضع من القرآن:

((صم بكم عمى فهم لا يعقلون))

ولكون العقل شرعا من الداخل قال الله فى صفة العقل :

((فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)) .

فسمى العقل دينا ، ولكونهما متحدين قال الله تعالى ((**نور على نور**))

الى نور العقل ونور الشرع . والعقل كالأساس والشرع كالبناء ولا يغنى أساس ما لم يكن بناء ولم يثبت بناء ما لم يكن أساس .

ولا خير فى معرفة أو علم فى نظر الاسلام اذا لم يهتد الى الحقيقة

الأولى فى الكون وهى معرفة الله تبارك وتعالى ، فالقصد فى جميع المعارف والعلوم فى النهاية هى معرفة الله تعالى ، والاقرار بوجوده ووحدانيته ، فهذه المعرفة تطمئن النفس الى كنف ربها فيعبده على علم ويقين وعلى قدر خط الانســــان من هذه المعرفة تكون خشيته لربه وطاعته ومحبته له ورضاؤه بقضائه وقدره وصبره على نكبات الدهر ومصائبه وقد جعل الاسلام الكون كتابا من المعرفة ووجــه العقول والأبصار الى بدائع صنع الله فيه ، ودعا الى التفكير فى آياته واستكناه أسراره وفهم نظمه ونواميسه ، ففتح بهذا باب العــلم وحرر العقول من أسر الجمود والجهل .

لقد خلق الحق تبارك وتعالى كل شىء ، وسيره وفق قانون دقيق وهيأ الانسان لمعرفة هذا القانون واستعماله بما فطره الله عليه من استعداد لفهمه وتسخيره .

* * *

(٢١)
الصحـــــوة الإسلاميـــــة

ان دخول العالم الاسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر مرحلة ما يسمى الصحوة الاسلامية او المد الاسلامى لدليـــل طبيعى على طبيعة المرحلة التى يواجهها المسلمون اليوم وهى مرحلة تختلف فيها الآراء بين منصف وحاقد ، ومتفائل ومتشائم ، ومستوعب للتيارات العالمية وجاهل بها .. ولا ريب ان « الدهشة » التى تسود دوائر الغرب ترجع الىعدم توقعهم تنبه المسلمين بهذه السرعة الىالمؤامرة الخفية التى حيكت بدقة منذ سنوات طويلة والتى اعتقد الغرب ان المسلمين قد قبوها وانصهروا فيها ، وانهم قد انفصلوا عن مفهومهم الأصـــيل للاســـلام ولم يعودوا يقايســـوا الأمـــور أو يفسروها الا من خلال المنهج الذى رسمته قوى التبشير والاستشراق والتغريب من خلال التعليم والثقافة منذ اكثر من مائة عام وقد تخرجت علىهذه المفاهيم أجيـــال كثيرة ، حتى لم يعد هناك من ســـبيل الى انيفهم المسلمونأمور فكرهم وحياتهم وثقافتهم الامن خلال هذه «المسلمات» التى وضعت من أجل « تفريغ » الاسلام من حقيقته الاصلية ، من مفهوم التوحيد الخالص ومن مفهوم فريضة الجهاد الماضية الى يوم القيامة .

فأخذت المناهج الوافدة تحاول ان تصور الاسلام بانه دين من الأديان التى لا تفترق الا فى أمور يسيرة غافلين عن تلك الفوارق العميقة : (الصلب والتثليث والخطيئة) وكذلك ظهرت تلك الدعوات المضللة (البهائية والقاديانية وتابعتها الأحمدية) من أجل تزييف مفهوم

الجهاد كما جاء بها القرآن . لقد حاولت المناهج الوافدة أن تحول المسلمين عن اعرافهم وآدابهم ومفاهيمهم ومقاييسهم التى رسمها الاســـلام الى مفاهيم الفكر البشرى ، وان تخدعهم بان الســـبيل الوحيد للنهوض وامتلاك الارادة هو « الأخـــذ » بأسلوب العيش الغربى ومقاييس الغربفى القتال مهملين الجوانب الروحية والمعنوية اكتفاء بالتفسر المادى والمقياس المادى . فكانت النتيجة ان خدعنا الغرب فلم يقدم لنا الا فتات موائده من الجوانب الاستهلاكية والمثيرة للشهوات من مسرح ورقص وأدوات تجميل واوجه الفساد والترف المستهلك لقوى الأمم وعافيتها ، أما العـــلوم والتكنولوجيا وادوات القوة فقد حجبها الغرب عنا بينما سلح بها اعداء الاسلام واقام اسرائيل فى قلب العالم العربى وبذلك وقع المسلمون نتيجة متابعتهم لمناهج الغرب الراسمالية والماركسية الى السقوط فى محنة الهزيمة والنكبة والنكسة .

ولكن مفاهيم الاسلام الأصيلة التى قدمتها حركة اليقظة لم تلبث ان هزت هـــذا الغافل وردته الى الفهم فعرف من اين هـــزم وبدا يستيقظ مؤمنا بان المناهج الوافدة لن تستطيع ان تحقق له أمله ، ولا بد من العودة الى منهج الله تبارك وتعالى الذى تشكلت عليـــه خلايا جسمه منذ أربعة عشر قرنا ومن هنا كانت الصحوة الاسلامية والمد الاسلامى انتقالا من اليقظة الى النهضة فى مطالع القرن الخامس عشر .

ان الهزة التى تنتاب الغرب اليوم هى هزيمـــة حساباتهم بان العالم الاسلامى قد خضـــع وانطوى وانصهر فى بوتقة الحضـــارة العالمية والوحدة الأممية ولم يكونوا ظانين بان الاسلام قادر فى وقت المحنة ان يستعيد قدرته بان يرجع الى منابعه الأولى التى لا تتوقف عن العطاء .

يقول أحد الباحثين ان الهدف السياسى الراهن من الكتابة عن الاسلام فى الغرب هو سد الأبواب الفكرية أولا على الانسان الغربى

نفسه حتى لا يرى فى ظهور الاسلام على حقيقة ملجأ له من واقع التمزق الفكرى والخلقى والاجتماعى والعقيدى بل والمادى . انهم يطمعون عرض صورة مشوهة عن الاسلام للانسان الغربى حتى يخدعوا الغربيين المتطلعين الى ان الاسلام يستطيع ان ينقذ البشرية، ومن هنا كانت محاولاتهم للحصول على كتابات من المسلمين عن ان الاسلام لا يختلف عن المسيحية الا فى مسائل فرعية او اعتمادهم فى تقــديم المسلمين للغرب عن طــريق الكتابات الزائفة التى كتبهــا المستشرقون اليهود والنصارى التابعين للكنيسة من ناحية ولوزارات الاستعمار من ناحية وهى نفس المحاولة التى قام بها الغرب بعــد عــودة المحاربين الى أوربا بعد انتهاء الحروب الصــليبية والذى حاولوا ان يقدموا لقومهم سماحة الاسلام .

أما ظاهرة المد الاسلامى فهى صحيحة بكل المقاييس : فقــد كان لابد ان تنكشف حقيقة الاسلام التى اخفاها التغريب والاستشراق سنوات طويلة ، وان يتبين ان النفوذ الغربى هو الذى حجب عظمة هذه الحضارة واخفى ذلك الدور الذى قام به المسلمون فى مجــال العلم والتجريب ، وما قدمته الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى فى مجال القانون الغربى ، وكيف ان علوما كثيرا منها الاقتصــــاد والاجتماع والنفس والتربية والأخلاق قد قدم لها الاسلام اصول اصيلة ما تزال هى ركائز العلوم الحديثة . ان هذه الحضارة التى اضاءت العالم الف سنة لم تفقد سرها ولا سحرها وان توقفت عن العطاء بعامل خارج عن ارادتها ، حيث ترك للحضارة الغربية الفرصة ان تقدم نتاجها فاذا العالم بعد ثلاثة قرون غارق فى أزمة من اشد ازماته ومحنة من اقسى محنه ، ذلك لأنه تغافل عن الصانع والخالق وعن اصــول العلاقة بين الانسان والمجتمع والحضارة ، ومســئوليته الفردية والتزامه الأخلاقى .

فاليوم يتبين مدى جناية الحضارة الغربية على البشرية ويتبين

ان الحضارة الاسلامية قادرة مرة اخرى على العطاء ، بالرحمة والأخاء البشرى والعدل حيث يتطلع العالم الى ايدلوجية جديدة .

ان المسلمون حجمهم اليوم الف مليون من البشر يمثلون ثلث سكان العالم بينما تمثل القارة الاسلامية نصف مساحة اليابسة ومنذ أن ظهر الاسلام وما من حادث يحدث شرقا أو غربا الا وله صلة بالاسلام وعالم الاسلام الذى يتمدد الآن فى القارات الخمس وترتفع مآذنه فى كل مكان ، حتى تكتب جريدة التايمز : تحت عنوان :

« اللاينينية ايدلوجية خاسرة والاسلام هو الذى سينتصر »

ان اعنف الثورات ضد الهيمنة الغربية كانت تقوم باسم الاسلام هذا الأمر لاحظه الشيوعيون ولم يغب عن بالهم ، ووجد الشيوعيون انفسهم يواجهون فى آسيا الوسطى حركة فدائية اسلامية ظلت مستمرة خلال العشرينات فمن عام ١٩٢١ سرا ومن مطلع ١٩٢٨ علنا حاولوا اضعاف الدين الاسلامى واعتبروه حركة رجعية ، ذلك ان الدين أفيون الشعوب كما قال ماركس . وكانت النتيجة غير المباشرة لهذه السياسة ان انبعثت حركة سرية فى القوقاز خاصة فى جماعات الاخوة الاسلامية لعبت دورا هاما جدا فى مقاومة القيادة الروسية ثم البلشفية الشيوعية ، ومن البلاهة الافتراض ان ردود المسلمين ضد الروس فى افغانستان وغيرها يمكن ان تجعل الاسلام يقف الى جانب احد ، ذلك ان الاسلام دين وليس كتلة سياسية وهو يقف خصما للمادة وهو فى نزاع دائم معها ومع ذلك فيمكن ان يعتمد العالم على قوة الاسلام دينا وحضارة واذا قام التحدى بين اللاينينية والاسلام فان الايدلوجية هى الخاسرة والاكثر ضعفا وان الاسلام هو الذى سينتصر .

* * *

(٢٢)
مستقبليـــة الإســـــــلام

ان « مستقبلية الاسلام » واضحة وليست فى حاجة الى بيان :

اولا : اضطراب النظريات المعاصرة وبحث الانسان المعاصر عن وسيلة للتحرر من القيود المادية التى كبلته ، وصيحات متعالية منذ اكثر من نصف قرن بفساد الحضارة المعاصرة (روكسن وازمـــة الانسان المعاصر وصراع الايديولوجيتين الراســمالية والماركســية وازمة القنابل الذرية والهيدروجينية)، وفساد المجتمع الغربى وانحلال الاسرة وازمة المخدرات والانتحار فى ارقى البلاد تمدنا واعـــلاها ثروة .

ثانيا : تطلع البشرية الى نظام جديد وقدرة الاسلام على العطاء فى هذا المجال تبيحه سلامة الاصول التى قام عليها من ثبات القيم وارتباطها بالفطرة الانسانية وتميز نظامه بخصوصيات تجعله دائم الصـــمود فى وجـــه الأحداث ، صالح لمواجهة المتغيرات فى مختلف العصور والبيئات .

ثالثا : ظاهرة التفوق البشرى فى عالم الاسلام واتساع الطاقات الاسلامية الطبيعية (الثروات المادية والبشرية وامتلاك الطاقة فى نفس الوقت الوقت الذى تفيض فيه الارحام فى الغرب) .

وانكشاف فساد الصيحات الباطلة التى تقول بالانفجار السكانى والتى هى فى الحقيقة فســاد فى التوزيع وتســلط على الثروة أما الأخطار التى تواجه مستقبلية الاسلام فهى :

(أولا) : التبعية الاقتصادية للشرق والغرب مما جعل المسلمين مجرد مستهلكين وليسوا منتجين .

(ثانيا) : تمزق صفوف المسلمين وفى الطليعة قادتهم .

(ثالثا) : الغزو الواقع عليهم عسكريا وفكريا وحضاريا .

(رابعا) : تخليهم عن المنهج الاسلامى وانحرافهم عن حقيقة الاسلام .

والعلاج يكمن فى العودة الى أصول الاسلام وينابيعه الصافية « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح أولها » العمل بالكتاب والسنة وتغيير منهج التربية والتعليم هو حجر الأساس فى بناء النهضة .

وعلى المسلمين (١) أن يعرفوا أنفسهم . (٢) ان يعرفوا الآخرين بعيدا عن عقدة التعالى أو التجاهل أو الزهد (٣) ان يعرفوا الآخرين بأنفسهم على صورة الاصالة والرشد الفكرى على انهم نموذج مختلف له طابعه وذاتيته وانه لا يمكن ان ينصهر وانه يضحى بكل شىء فى سبيل الحفاظ على طابعه الخاص .

وفى عشرات من التقارير الاسرائيلية والغربية نجد الحديث عن « صحوة الاسلام » تأخذ طابعا بعيدا على الموضوعية والانصاف انه يصدر عن وجهة نظر كارهة لنهضة الاسلام . والواقع أن « صحوة الاسلام » لا تقاس بمقياس التفسير المادى للتاريخ ولا بالمفاهيم العلمانية التى حاولت خداع تركيا وايران بأسلوب التحديث الذى يرمى الى التغريب والخروج من دائرة الاصالة الاسلامية ، والحقيقة ما يقوله البعض متجردا :

« أرى الموجة الاسلامية الحالية لها أصالة وعمق وانها تستطيع أن تغير وجه الشرق الاسلامى ولفترة زمنية طويلة » .

ان الوحدة الاسلامية ، والأخوة الاسلامية ، والتضامن

الاسلامى ، وتحقيق قيام المجتمعات الاسلامية الأصيلة على مبادىء الكتاب والسنة ، وتطبيق منهج الاسلام فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية يجب ان لا يزعج احدا فان الحضارة الاسلامية لا تتطلع الى أكثر من امتلاك ارادتها وهى بعد ذلك معطية سمحاء مع الحضارات البشرية والانسانية تقيم مبدأ الأخاء الانسانى والعدل والرحمة .

أما الأقطار الاسلامية فان أغلبها قد نص على أن الشريعة الاسلامية مصدرا للقانون فليس هناك الا مرحلة غربلة وتنقية وتطبيق وتكون الاقطار الاسلامية فى هذا مستجيبة لمطامح شعوبها من ناحية ومقدمة هذا النموذج الاسلامى للعالم كله ليعرف مقدار عطاء ألاسلام الحقيقى .

ان العقبات التى تقوم فى مواجهة هذا الهدف هى من صنع النفوذ الأجنبى (شيوعيا وصهيونيا وغربيا) فهو الذى يحاول اليوم عن طريق ما سمى (بالجوار) او اليونسكو أو الاستشراق أو التبشير علىطريق ألثقافة والتعليم والصحافة وعن طريق مؤسسات الماسونية الجديدة (الروتارى والليونز) وغيرهما من الدعوة الى تمييع الفوارق العميقة بين الاسلام وبين الأديان فى محاولة لتصوير (الاسلام) وكانه لا يختلف عن تفسيرات الأديان القائمة وذلك بهدف القضاء على ماسوى اليهودية التى يدعون انها اول الأديان بينما رسالة الله (الاسلام) بدات منذ دعوة نوح عليه السلام وامتدت الى محمد صلى الله عليه وسلم .

والاسلام فى الحقيقة هو دين الله الخاتم ، الذى حمل مفهوم التوحيد الخالص ومسئولية الانسان فى عمارة الارض بالالتزامه الأخلاقى ومسئوليته وخزائه الاخروى .

ولنعلم ان الاسلام دين ونظام مجتمع لا يفترقان ، وهو ليس

دينا لاهوتيا عباديا ولكنه دين يجمع ملامتين بين الله تبارك وتعالى والانسان وبين الانسان والمجتمع . وقد قدم للبشرية منهجا كاملا فى مختلف مجـالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية طبقتـه اجيال من المسلمين خلال أربعة عشر قرنا فأقام حضارة الانسانية الحقة ودخلته جميع العناصر وانصهرت فيه من حدود الصين الى نهر اللوار .

ان العالم الاسلامى قد تكشف اخيرا انه خلال هذا القرن الاخير انما كان مجبورا على السير فى طريق غير صحيح ، هـو الطريق الذى فرضه عليه النفوذ الأجنبى حين حجب الشريعة الاسلاميـة وفرض القـانون ألوضعى وأقام انظمة وتحت اسم الديمقراطيـة والقومية والاشتراكيةاتضح انها جميعها فاسدة ولا تصلح للاستجابة لأشـواق النفس الاسلامية التى بناها القـرآن وكونها التوحيد الخالص .

ان محاولات الغرب والصهيونية والماركسية فى تأخير نهضـة العالم الاسلامى بمقاومة أو تأخير او اجهاض المنطلق الاسـلامى الصحيح وخاصـة فى بلاد العالم الاسـلامى سـواء بالتبشير فى اندونيسيا أو ايقاف التقـدم فى تركيا أو الباكستان أو احتـلال افغانستان لن يقضى على اليقظة ولكنه سيعطيها قوة جديدة .

* * *

(٢٣)
انهيـــار الحضـــارة الغربيـــة

ان الصورة التى تقدمها « الحضارة الغربية « فى هذه المرحلة من نهاية القرن العشرين الميلادى « قاتمة » بل هى أشد قتامة مما يظن الكثيرون المخدوعون .

١ ـــ موجة الانتحار الجماعى تعود الى اوربا والغرب .

وتشـــير التقارير الى ان هناك عشرة آلاف شـــخص يحاولون الانتحار فى اليوم الواحد وان أعلى نسبة هى فى الولايات المتحدة ثم اليابان والمانيا الغربية .

٢ ـــ ادمان الخمور المشكلة الأولى فى الغرب وخاصة فى الدول الشيوعية .

٣ ـــ الأمراض السرية تفتك فتكا ذريعا بالمـــواطنين فى دول اوربا والغرب .

ويقول طبيب انجليزى : ان الانحـــلال الخلقى وتدهور القيـــم والمثل العليا فى بلادنا سيصيب الجيل الجديد بأمراض سرية لا أول لها ولا آخر تجعله عاجزا عن متابعة حياته وتحرمه من الابداع الفنى والعلمى . وقد زادت نسبة هذه الأمراض بين أطفال المدارس الى ٧٠ فى المائة عن العام الماضى .

وهذه الظاهـــرة هى التى أودت بالامبراطورية الرومانية التى إنحلت خلقيا فى أواخـــر سنى ازدهارها حتى أصـــبحت الاميرات

والنساء الثريات يشترين الشبان بأغلى الأثمان ثم يضعنهم فيما يشبه الحريم ويقدمن لهم أفخر الأطعمة .

وقد ارتفعت معدلات ادمان الخمور فى أوربا ففى بولندا (٨٠٠ الف) من المدمنين المسجلين فى دفاتر المستشفيات وينفق اهل بولندا ١٨ ٪ من دخولهم على الكحول والادمان ، الولايات المتحدة تنفق ٥٪ ويوجد فى المجر ٤٠٠ ألف من مدمنى المخدرات ، وفى يوغوسلافيا ٦٠٠ الف .

وهكذا عندما وجد مجتمع الوفرة وجدت معه رزيلتى الانتحار والادمان وحين وصلت أعلى درجات الترف والغنى فى بلد كالسويد فهى تتمركز على رأس القائمة فى احصائية الانتحار العالمية ، ذلك لأن غنى البطون قد قتل الأرواح الخاوية ، وخلق نوعا خطيرا من الانسحاب من الحياة أشنع من الانتحار وذلك عن طريق الموبقات والادمان على المخدرات .

وهناك فى الغرب اليوم رده هى تجديد الخرافة القديمة والأساطير وصياغتها فى صورة جديدة ، متعة الغياب عن الواقع سواء عن طريق المسرح أو مع الادمان .

لقد أصبح فى تقدير الكثيرين زوال هذه الحضارة المعقدة التى تدمرها تكنولوجيتها وتهددها اكتشافاتها العلمية لأن هناك تناقضا عنيفا بين الحضارة والانسان تبعد عن الانسان عن اتصاله بالطبيعة وتواجده السلمى مع ذاته وغيره من الكائنات البشرية .

يقول جيرالد هيرد فى كتابه : « القيم الخلقية الثالثة) :

ان الغرب تعس ومتخلف يتحكمه القانون العلمى فى كل شىء حتى غدا الانسان آلة قابلة للتحكيم والتحكم ما دام كل شىء ماكينة فكل شىء لا هدف له ولا أخلاق له ولا قيم له . ان كل ما يملك الغرب هوالقدرة على التصنيع والقدرة وحدها قد تدمر والاسلام

تحقق لا بالشـفاه ولكن بالقلب والعلم معـا ، وقد حفظ المسلمون الحضارة القديمة حفظ الكريم الذى ينمى ويصنف .

ويتحدث كثير من الباحثين عن « ايدلوجية الفكر الغـربى » انها يسودها الوجدان المتشائم بكل أبعادها ومظاهرها فى الآداب والفنون والفلسفة والأخـلاق والسياسة وان هـذه الايدلوجيـة السوداوية المتشائمة (كمـا يقـول سمير كرم) تنتشر فى أوسع نطاق فى عالم الغرب افكار عن لا معقولية الحياة وعبث الوجود . وقد أصـبح المفكرون المتشائمون يشقون هجمـات هستيرية على فكر يؤمن بالتطور الانسانى . ومن هنا فان الوجودية هى آخـر صيحات الفلسفة التشاؤمية ويرد كثير من الباحثين مصدر التشاؤم الى القول بالخطيئة التى تطارد كل انسان فى الغرب » كـل هذا يعطى صورة صحيحة عن الغرب وحضـارته القاتمة التى المظلمة التى يحاول المضللون (دعوتنا الى الانغماس فى حمأتها والسقوط فى حفرتها وصدق الله العظيم حيث يقول :

(ما يود الذين كفروا من اهـل الكتاب والمشركين أن ينزل عليكم خـير من ربكم) وهم واتباعهـم يحاولون ان يخدعونا حين يقدمون لنا صورة مزخرفة عن حضارة فاسدة ، وهم فى نفس الوقت يقدمون لنا حضارة الاسلام فى صورة منتقصة باطلة ، بهدف ضرب أصالة الاسلام وعظمته وذلك بتلفيق خيوط مخلطة توهم بأن الفكر الغربى شىء خـالد أو مقدس لا يغيره النقض او الخطأ، وهـذه المحاولة لا تثبت أمام التحقيق العلمى ويكفى أن يكون من ثمرتهـا هذه الحضارة الآثمة المنهارة ، فان الفكر الغربى (بشقيه) فى حقيقته ليس الا فكرا بشريا انتزع نفسه من مفهوم الدين الحق وسار ولاء أوهام الفلسفات ومفاهيم المادة والوثنية والظاهرة الجديدة هى ان عددا من اعلام الفكر الغربى هـم الذين يكشفون فساد الحضـارة والفكر الغربيين .

يقول سولجستين (الروسى المهاجر الى الغرب) ان أعجب ما يلاحظه المراقبون الأجانب فى الغرب هذه الأيام هو انهيـــار روح الشجاعة . هل انهيار روح الشـــجاعة هى بداية النهاية . هـــذا يساعد على رواجها هذا الغزو الذى يثير الاشمئزاز لحياة الفـــرد الخاصة بواســـطة البرامج الغبية فى التليفزيون والموســـيقى التى لا يمكن احتمالها . ان المعركة من أجل بقاء كوكب الأرض قد بدأت فعلا ومع ذلك فان شـــاشـــات تليفزيونات الغرب وصحفه حافلة بالابتسامات والكؤوس المرفوعة لتبادل الانخاب . ان فلسفة الغرب تعتبر أن الانسان خلق للســـعادة وبالتالى فان كـــل شىء يجب أن يكون لمصلحة الفرد ولكن الانسان كما خلق للحياة فقد خلق ايضا للموت وبالتالى فلا بد له من الايمان : الايمان بالله وبالقيم الروحية والمعنوية وبأن رسالة الانسان هى الارتقـــاء الى قيم أعلى وليس مجرد اقتناء أكثر . »

هـــذا من ناحية ومن ناحية أخرى عجز الغـــرب عن فهـــم الحضارات الانسان الأخرى .

يقول روجيه ارنالدير ان الغرب يشـــعر بعقدة نفسية أطلق عليها مركب العظمة الذى حال دون تفهم انسان الغرب للحضارات الانسانية المغايرة لحضارته والمختلفة عنها وخص بالذكر الحضارة العربية فالأولى لا ينظر الى الشرق العربى الا نظرة المبتكر معتبرا نفسه ابن حضارة أثبت تفوقها بتطور الآلة والتقنية » .

وهكذا يحاول الغـــرب المهـــزوم المدمر الذى يقف على حافة الهاوية أن يغرى المسلمين بالوقوع معه فى نفس الحفرة ، حـــين يدعوهم بألسنة رجال منهم : لقد أدرك الغـــرب ان ماديته تحمـــل عوامل فنائه ولذا بخـــل أهل الفكر الغربى مشـــغولون بالبحث عن كيفية تأخير نهضة المسلمين ومنعها من تحقيق خطواتها ، مع انها لا تهدف الا الرحمة والعدل والاخاء البشرى ، وهو حين يجد تجاوبا

مع الاســـلام فى بلاده يقود حركة الحوار ليحصـــل على تصاريح من علمـــاء المسلمين بأنه لا فوارق حقيقة بين المسيحية والاســـلام وهو يجمع بين المتناقضات فهو حين يدعو الى العلمانية والعقلانية ولا يقبل الا ما يقع تحت الحس ، يقبل الأساطير والشعر المكشوف والمهاريشى والفكر الوثنى الذى لا يدخـــل فى اطار العقل بل يقبل نظريات علمية قائمة على الأساطير على نحو ما قدمه فرويد ، وهو يذهب الآن للبحث عن النرفانا والبـــوذية واليوجا ، بعد أن فشلت الوجـــودية وصولا الى الهيبة وظهور ظاهرة العربى الجمـــاعى . وهو لا يتوقف عن تصدير ذلك للعالم الاسلامى الذى يملك أصفى الهدف ، العالمية الوجهـــه التى يتطلع اليها العـــالم كله لتنقذه من المناهـــج وأرقى الدعوات : الدعـــوة الربانية المصـــدر الانسانية براثن الوثنية والمادية والاباحية

* * *

(٢٤)

اعادة النظر فى مسلمات الغرب

أعتقد انه قــد أصبح علينا أن نعيد النظر من جديد فى جميع المسلمات والفلسفات والمذاهب والعقائد والقيم المطروحة فى افق الفكر الاسلامى وأن تميز جثتها من طيها حتى تتحرر عقول المسلمين وقلوبهم من التبعية وحتى ينكشف فســاد النظريات الوافدة التى استحوذت على قلوبهم وعقولهم منذ زمن طويل .

(واذا أخــذ الله ميثاق الذين أوتو الكتــاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) لقد قام عصرنا على الانقاض فعلينا لكى نعيد النظر لحياة جديدة بأن نزيل أثار هذه الشبهات والســموم التى ترددت طويلا وهى باطلة حتى ظن البعض انها من المسلمات .

ان علينا أن نحرر الفكر الاسلامى من نفوذ المادية والوثنية الغربية الوافدة ومن

ان الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية والرسالة الأصيلة لهــذه الأمــة والايمــان بدورها الحقيقى بالتوحيد والايمــان بالمسئولية الفردية والجزاء الأخروى فى حياة أخرى بعد هذه الحيــاة والتأكيد على ألالتزام الخلقى وتكامل الجوانب الروحية والمادية هو الأساس الذى يشــكل الفارق العميق بين (حضارة التوحيد) التى يحمــل لوائها الاسلام وتهتدى بضوء القــرآن وبين (حضــارة الوثنية) القائمة على العبودية لغير الله والتبعية .

وعلى ضوء ايماننا بقيمنا ، لابد من اعادة النظر فى مناهـج دراسة الأدب والتاريخ والاجتماع والنفس وأن نكشف أمام أجيالنا الجديدة وشـبابنا زخائر تراثنا وشريعتنا وبطولاتنا التى يحـاول الغرب ان يطمسها ويثير حـولها الشبهات ويخلق روح الاحتقـار والسخرية بها .

وعلينا ان نقيم مناهـج التربية وبناء الشـخصية والبطولة بالقـرآن والتاريخ والقدوة ، وتحرير النفس الانسانية من الأهواء وأن تتمثل تلك النماذج التى صاغها الاسـلام وأن نفرق بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التى ليس لها قيمة الا أن تكون الزينة فقط ، وعلى المسلمين أن يعملوا على تحصيل العـلم النافع فى أمر الدنيا والآخرة ، والتخلق بأخلاق الاسـلام ، والاعتزاز بالله والشجاعة فى الحق والتضحية فى سـبيل الله ، وأداء الفرائض ، بعد تصحيح العقيدة ، واجتناب معـاصى الله ، وبذل التضـحية المسلمين عامة والتحدث باللغة الفصحى .

وعلينا ان نؤمن بأن فترة ضعف الفكر الاسـلامى لا تتخـذ مقياسـا للحكم عليه لأنها لا تمثل حقيقته ، وعلينا أن نلتمس المنابع الأولى والمصادر الأصيلة التى تبين جوهره الأصـيل ويكذب الذين يردون ركود المسلمين الى الاسـلام فان هناك الفارق الذى يجب أن يكون واضـحا من أصول الاسـلام وبين تجربة المسلمين وأن الاسلام فى الحق براء من كل عناصر الركود والتأخر ، وانما ترجع اسـباب الاضمحلال الى عجز المسلمين عن استيعاب الاسـلام فى التطبيق .

ان أصدق فهم للاسلام هو فهم الرعيل الأول له ، قوة خالقة من وراء الانسـان والانسـان مستخلف فى الأرض عند الله الخالق تبارك وتعالى ، تعاليم أخلاقية تطبع الحيـاة والحركة والمجتمـع من أجل بناء الانسـان الفرد والانسان فى اطـار المجتمع ، وعلى الانسان أن يضبط النسب بين جوانب الحياة وقيمها .

ان ابرز مظاهر مجتمع المسلمين اليوم هو الانفصال بين الفكر والتطبيق ، فالمسلمون يقفون عند العلم بالاسلام دون التقدم نحو الايمان وهو تطبيق الاسلام على أنفسهم وبيوتهم ومجتمعهم ، ولذلك فان اكبر التحديات اليوم هى اعادة تكوين الفرد المسلم : مقدمة لبناء المجتمع الاسلامى واقامة أخلاقية الاسلام .

ان نقطة البدء فى كل حضـــارة هى العقيدة ، وفى الاســـلام لا يتنافى الدين مع التقدم ، وليست العبرة بالتفـــوق التكنولوجى ، بل العبرة باقامة الفكر والعقيدة والاسلام هو العقيدة القادرة على اطلاق طاقات الأمة .

ان اخطر الأخطار هى اتخاذ الأســـلوب الأجنبى فى مراوغته وفساده أسلوبا لنا فى الكشف عن مخططاته أو فهم تاريخنا .

ان هناك محاولة ترمى الى الحيلولة دون استئناف المسلمين حياتهم على أســـاس الاسلام منهـــا اثارة النعرات القومية وتركيز المفاهيم العلمانية والتشكيك فى العقيدة الاسلامية وتشويه التاريخ الاسلامى وايجاد الوفد والنحل الهدامة ولا شك أن الأخذ بمفاهيم القومية الأوربى ، يؤدى الى تفكيك عروة الأمة الاسلامية الى كيانات عنصرية متنافرة وعناصر متعددة متباعدة كما تؤدى الى عدم امكان عودة المسلمين أمة واحدة .

* * *

فهرس الكتاب

دار العلوم للطباعة

القاهرة ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)

ت ٣١٧٤٨٠

رقـــم الايداع بدار الكتب

٨٤/٥٣٧٥

٩٧٧ — ١٤٢ — ٨٤ — ٤